محاضرات (٢/ ٢٢)، (١/ ٥٤)

# دور المسلمين

# في النهوض بالأمّة

## « واقع المسلمين المعاصر وسبيل النهوض بهم»

ويليها

# لقاء مفتوح

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

**حفظه الله تعالى**

النُّسخة الإلكترونيَّة (٣)

**الشيخ لم يراجع التفريغ**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾﴾[الفتح]، أثني علىٰ ربي الخير كله، فهو أهل الكمالات وأهل الصِّفات العلىٰ والأسماء الحسنىٰ، لا إلٰه إلا هو الملك الحق المبين.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرًا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن إذا أعطي شكر، وممن إذا ابتلي صبر، وممن إذا أذنب استغفر، فهٰذه الثلاث عنوان السعادة في الدنيا والآخرة، فمن أوتيها فقد أوتي حظا عظيما.

وأسأله سبحانه أن يجعلني وإياكم ممن نصر دينه وممن سعىٰ في إعلاء كلمة التوحيد، وممن نافح عنها وعاش لها وقاتل في سبيلها.

ثم أما بعد..

موضوع هٰذه المحاضرة ظاهر من عنوانها وهو:

## دور المسلمين في النهوض بالأمة

ولاشك أن هٰذا العنوان يدل علىٰ أهمية هٰذا الموضوع؛ لأن المسلمين اليوم -أعني أمة الإسلام بعامة- حالها لا يخفىٰ علىٰ أكثر المسلمين؛ لأن حال المسلمين اليوم بلغ من الذلة والهوان، وبلغ من مكر أعدائها بها ما بلغ بحيث إنه صار ذلك واضحًا عند من له أدنىٰ تحرّك في قلبه للإيمان ولأهل الإيمان.

ولهٰذا كان من اللوازم أن يُعرض هٰذا الموضوع وأن يُفصّل فيه ولا يكفي هٰذا الموضوع مثل هٰذه المحاضرة التي يقصر وقتها مهما طال، فلا بد أن يعرض من أوجه شتىٰ عرْضا منضبطا مع الوجهة الشرعية حتىٰ يكون عرض مثل هٰذه المواضيع مع ما جاء في كتاب الله جل وعلا وفي سنة رسول الله ﷺ؛ لأن هٰذا الموضوع قد يُعرض له من جهة فكرية بحتة لا صلة في عرضها بما دلّت عليه النصوص، وقد

يُعرض من جهة علمية نظر فيها العارض لما جاء في النصوص من أصول عامة تحكم هٰذا الأصل العظيم ألا وهو:

واقع المسلمين وكيف السبيل النهوض بهم ودور كل مسلم في الجهاد في سبيل الله لرفع الغمة عن بعض الأمة.

لاشك إذن أن هٰذا الموضوع مهم؛ وأنّ أهميته نابعة مما نراه ونسمع من واقع المسلمين المهين، وإذا قلنا: واقع المسلمين فنعني به العامة -نعني به الغالب-؛ لأنه «**لا تزال في الأمة طائفة منصورة قائمة بأمر الله لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتىٰ تقوم الساعة**».

وإذا نظرت إلىٰ حال الأمة أول ما بعث إليها ربنا جل وعلا رسوله محمدا ﷺ وجدت أن الأمة -أعني أمة الدعوة- كانت متشككة، كانت مختلفة بين عصبيات متنوعة:

- منهم من يتعصب لقبيلته.
- ومنهم من يتعصب للغته.
- ومنهم من يتعصب لملته ولديانته.
- ومنهم من يتعصب لهواه.

وكانت هٰذه العصبيات المختلفة يقوم عليها قوام الناس ويتجمع الناس حول هٰذه العصبيات، حتىٰ بعث الله جل وعلا محمد بن عبد الله بالإسلام الخالص الذي يجب أن يجتمع عليه الناس وأن يرضه له؛ لأن الله جل وعلا لم يرض غيره دينا ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، فأمر الناس بعامة أن يستجيبوا لله وللرسول إذا دعاهم وأن يعلموا أن الرسول حُمّل الرسالة وأنهم حملوا الإجابة فيجب عليهم أن يجيبوا نبيه ﷺ .

لما قام محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بالدعوة تنوّع أعداؤه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في عهده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وأعداؤه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ هم أعداء الأمة وأعداء الملة وأعداء المسلمين إلىٰ يومنا هٰذا؛ بل إلىٰ أن يشاء الله جل وعلا أن يقضي علىٰ أعدائه جل وعلا، فقام أعداؤه المتنوعون في وجهه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ليطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره.

وإذا نظرنا في الآيات في آي القرآن وجدنا أن أعداء محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ؛ وجدنا أن أعداء كلمة التوحيد لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله؛ وجدنا أن هؤلاء الأعداء في القرآن العظيم، وعداوتهم السالفة هي عداوتهم اللاحقة، يتتابعون علىٰ عداوة واحدة ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾[الذاريات]، فبيّن الله جل وعلا لنا في القرآن العظيم وخاصة في السور الثلاث العظيمة سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء، وسورة المائدة أيضا، بيّن لنا مجل وعلا أعداء هٰذه الأمة وفضحهم وبين ما يجب أن يتخذه المؤمنون تجاه أولئك الأعداء، فقال لنا جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء]، وهٰذا أصل عام يجب علىٰ المؤمنين في أي مكان وأن يلحظوه وأن يكونوا معهم ليلا نهار أنّ أعداء هٰذه الأمة ليس تحديدهم صائرا إلىٰ أفراد هٰذه الأمة، ليس تحديدهم صائرا إلىٰ أهل العلم ولا إلىٰ أهل النظر في هٰذه الأمة؛ بل الذي حدّد أعداء هٰذه الأمة هو ربهم جل وعلا الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ قال طائفة من المفسرين عند هٰذه الآية في سورة النساء: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ﴾ أي هو جل وعلا أعلم بأعدائكم منكم فاتخذوا الأعداء أعداء ولا توالوهم، وذلك لأنه جل وعلا هو الكافي لكم وهو النصير وكفىٰ بالله وليا وكفىٰ بالله نصيرا.

في القرآن العظيم وفي السنة المطهرة حُدِّد أعداء هٰذه الأمة:

**فأوّل الأعداء المشركون** وهم أول من واجه النبي ﷺ بالعداوة وآذوه أيما إيذاء، وهم الوثنيون بجميع أصنافهم من عبدة الأوثان وعبدة القبور وعبدة الأصنام وعبدة الآلهة المختلفة، هؤلاء هم الذين واجهوا محمدا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بالعداوة، وعداوتهم باقية إلىٰ قيام الساعة كما قال جل وعلا: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ﴾[التوبة:٣٦]، فالمشركون هم أعداء الله جل وعلا وأعداء الرسل جميعا من أولهم إلىٰ آخرهم، وأعداء أتباع الرسل، وعداوتهم لمحمد عليه الصلاة والسلام ولأتباعه معلومة لكم فيما تقرؤون من سيرته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

**والعدو الثاني الذي جاء بيانه في القرآن: اليهود** فإن عداوة اليهود لهٰذه الأمة ولأتباع محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ عداوة قائمة من أول ما بُعث محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ إلىٰ أن يشاء الله جل وعلا أن ينهيهم وأن يزيلهم من الوجود.

ويأتي بيان ذلك مفصلا، كما قال جل وعلا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[النساء]، وقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة:٥١]، وقال أيضا جل وعلا في سورة النساء: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾ وهٰذا عام في جميع الأعداء ويدخل في ذلك عداوة اليهود لمحمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

من تأمل السيرة وجد أن اليهود مكروا بمحمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وليس بغريب ذلك فهم قد مكروا بالأنبياء قبل ذلك وقتلوا من قتلوا من الأنبياء بغير حق.

**العدو الثالث الذي جاء بيانه في كتاب الله جل وعلا: النصارىٰ**، فالنصارىٰ لم يزالوا معادين للنبي ﷺ، معادين لأمته منذ ذلك الزمان إلىٰ زماننا هٰذا؛ بل إلىٰ ما بعده حتىٰ تكون الملحمة العظيمة بين أهل الإسلام والنصارىٰ وحتىٰ ينزل عيسىٰ ابن مريم عليه السلام.

النصارىٰ عداوتهم متأصلة إلا طائفة من الذين آمنوا بمحمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

وإنهم ليصدرون مع اليهود من مشكاة واحدة.

**والعدو الرابع: المنافقون** والله جل وعلا في سورة النساء وفي سورة براءة فضح المنافقين وبيّن أنهم أشد عداوة للمؤمنين من غيرهم؛ لأنهم بينهم ولأنهم يمكرون بهم.

والله جل وعلا حين ذكر عداوة اليهود وذكر عداوة المشركين جعلها أشد العداوات في الناس؛ يعني من غير المنتسبين للإسلام، فقال جل وعلا: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ﴾[المائدة:٨٢] الآيات؛ يعني من أسلم من النصارىٰ.

والمنافقون لشدة عداوتهم لأهل الإيمان جعلهم الله جل وعلا في الدرْك الأسفل من النار لأنهم ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾[البقرة:٩]، ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء:١٤٥].

**والعدو الأخير الذي جاء بيانه في القرآن: الشيطان** الذي عداوته مستحكمة علىٰ كل أحد من هٰذه الأمة ومن غيرهم ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر].

إذا تبين لك ذلك فمن الغلط الكبير ومن الغلط العظيم أن يظن طائفة أن عداوة أولئك كانت في زمن مضىٰ وانقضىٰ، وأن أولئك لم يعقبوا وارثا؛ بل إنك إذا استقرأت التاريخ من وقت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلىٰ زماننا هٰذا وجدتّ أن المؤمنين أصيبوا من هؤلاء الأعداء جميعا، فمعارك أهل الإسلام مع المشركين مشهودة معروفة في شرق الأرض وفي غربها، ومعارك أهل الإسلام مع اليهود معروفة، ومعاركهم مع النصارىٰ وحروب الصليبيين معروفة، والاستعمال الحديث معروف، وخطط اليهود من الزمن الأول إلىٰ زماننا هٰذا معروف.

وبسط ذلك يحتاج إلىٰ ندوات وإلىٰ محاضرات طويلة حتىٰ يفقه الناس دينهم، وحتىٰ يعلموا أعداءهم؛ لأن الله جل وعلا أوضح في كتابه سبل المجرمين وبينها، وعلل ذلك بقوله جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥﴾[الأنعام]؛ يعني حتىٰ تكون سبيل المجرمين واضحة بينة لا خفاء فيها؛ لأن المؤمن المسلم إذا علم بعدوّه وعلم بسبل عدوّه في النيل منه وبإضعاف إيمانه وفي صدّه عن دينه أو في إذهاب روحه ونفسه أو في إذهاب ما به قوامه وحياته وعزته، فإنه يتخذه عدوا ويجعل ذلك نصب عينيه حتىٰ يحذر.

أما أن يعلم ذلك فإنه ولا شك سيؤتىٰ علىٰ غرة ويفسر الأشياء دائما بتفسير بسيط غير دقيق.

ولهٰذا يظل كثير من الناس حيث لم يجعلوا أعداءنا الذين جعلهم الله جل وعلا أعداء، لم يجعلوهم أعداء؛ بل يجب علينا أن نجعل الأعداء الذين جعلهم الله أعداءً لنا، يجب أن نجعلهم أعداء، وأن نقيم ذلك في نفوسنا، نعم إن الشرع يقضي بأن التعامل الظاهر مع العدو لا صلة له بالعلاقة الباطنة، لا صلة له بما يقوم في القلب من عقيدة، فالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عامل اليهود وعامل النصارىٰ وعامل المشركين، وفي ذلك من الضوابط الشرعية والأحكام الفقهية ما هو معروف؛ لكن ما هو واجب أن يكون في قلوبنا جميعا أنّ العدو عدو، وأن كراهته واجبة وأن البراءة منه فرض؛ لأن ذلك من صميم عقيدتنا، فمعنىٰ كلمة التوحيد (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله) أن توالي؛ يعني أن تحب أهلها وأن تُبغض بقلبك

وأن تبغض المخالفين لها من أهل الشرك وأهل الكتاب وأهل الأوثان بعامة، والمنافقين، وكل من لم يرضخ لهٰذه الكلمة ولكن التعامل الظاهر له حكم والتعامل الباطن له حكم.

إذا نظرت إلىٰ صنيع اليهود مثلا في الزمن الأول، ونظرت ما عملوه في عهد عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ يدي عبد الله بن سبأ اليهودي المعروف، وعبد الله بن سبأ تاريخيا ثابت وجودُه رغم محاولة طوائف من الباحثين أن يجعلوا وجوده من الخيال، وأنه لا حقيقة له، فوجوده ثابت من أهل السنة؛ لأن الأسانيد فيما فعل ثابتة عن الصحابة وعن التابعين فيما كان يفعله عبد الله بن سبأ وما شتت به الأمة وما أحدث به من الفتن، فإن ظهور الخوارج كان بسبب اليهود.

لهٰذا نقول: إنه في الزمن الأول لم يحصل غلو في الأمة، ولم يحصل فُرقة في الأمة إلا بسبب اليهود في الزمن الأول، وكذلك في هٰذا الزمن الحاضر لم يظهر الغلو علىٰ ما هو معروف في هٰذا الزمن، في فرق وجماعات مختلفة، لم يظهر الغلو إلا بعد وجود اليهود في المنطقة -يعني في منطقة أهل الإسلام وجودهم في فلسطين- لما وجدوا وجد الغلو في الجماعات ومختلفة، فطائفة غلت لأن وجود هؤلاء سبب الغلو؛ لأنه ليس لكل أحد المقدرة أن يتعامل مع الأعداء علىٰ وفق الحكم الشرعي، فلهٰذا ظهر في الزمن الأول الخوارج؛ لأنهم لم يحتكموا إلىٰ قول الصحابة، فغلوا بسبب اليهود، وظهر في هٰذا الزمن طوائف ممن غلا وزاد عما يجوز شرعا؛ وذلك بسبب وجود اليهود في الأمة.

المقصود من ذلك أن اليهود في خططهم الأولىٰ كان لها الأثر في الأمة في تفرقتها وفي إضعافها وفي قوة أعدائها عليها، وكذلك ما ظهر في هٰذا الزمن.

كذلك النصارىٰ، النصارىٰ مهما حصل بينهم وبين أهل الإسلام من الهدنة ومن عدم القتال فإنهم أعداء، وإن عداوتهم باقية، انظر لما وجدوا الفرصة سانحة لهم أقاموا الحروب الصليبية في ما تعلمون في عقود من الزمن، وقتلوا من أهل الإيمان ما قتلوا، ثم لما ظهرت الكرة مرة أخرىٰ عاودوها بالاستعمار المبطن بالاستعمال الاقتصادي وهو استعمار سياسي بل هو استعمار ديني.

حتىٰ إن كثيرين من الباحثين في هٰذا الزمن حدّدوا أن الاستعمال الحديث النصراني هيأ له من سُمّوا بالمستشرقين الذين أظهروا الإسلام أو أظهروا الاهتمام بالكتابات في ميادين الشريعة والاهتمام بتراث

أهل الإسلام وبالكتابة في اللغويات والأدبيات وبل وفي القرآن وعلومه وبل وفي العقائد والفرق إلىٰ آخره، وفي الحقيقة إنما يخدمون هم الامتداد الاستعماري للدول النصرانية.

وهٰذا كله تيار واحد يشد بعضه بعضا وحلقاته المتصلة، فمن الغباء ومن عدم كمال الإيمان أن ننظر إلىٰ ما يحصل علىٰ أن له تفسيرات طبيعية سياسية، دون أن يكون له تفسيرات دينية محضة، فإنما أساس اجتماع الناس وأساس حركتهم لابد أن يكون ناتجا عن عقيدة يعتقدونها، قد يكون ناتجا عن عقيدة علمانية، وقد يكون ناتجا عن عقيدة كتابية -يعني يهودية أو نصرانية-، وقد يكون ناتجا عن عقيدة شركية وثنية، إلىٰ ما ذلك من أنواع العقائد.

فالمسلمون في هٰذا الزمن وما قبله، المسلمون سبب ضعفهم أن أعداءهم تسلطوا عليهم في غفلة منهم، فلم يعلموا بمكر أعدائهم لهم، لو نظر ناظر منكم فيما صدر وخرج كتيبا المسمىٰ بـ: «بروتوكولات حكماء صهيون». وقد تُرجم إلىٰ العربية، وهو من الكتب المهمّة التي تبين لك عمق فهم الأعداء لما يعملونه في أعدائهم، يعملونه في غيرهم يعملونه في المسلمين وفي غيرهم فإنهم يخططون لذلك وينظرون إليه نظرا مستقبليا متكاملا من جهات عديدة.

في هٰذا الكتاب مثلا بين الصهاينة هؤلاء الذين وضعوا هٰذه البروتوكولات؛ يعني القواعد أتي بها يسيطر اليهود علىٰ الأمم الأخرىٰ، في هٰذا الكتاب وضح الأهداف ووضح الوسائل وجعل من الهدف هو سيطرة اليهود علىٰ الجميع، حتىٰ إن اليهود يستعينون بالنصارىٰ في السيطرة علىٰ الأمم الأخرىٰ، وفي السيطرة علىٰ الأمم النصرانية بخصوصها.

وقد قال جماعة مما هو مذكور أيضا في الكتاب في خاتمته ذكروا أنه أُريد من النصارىٰ، من رؤساء النصارىٰ؛ يعني آبائهم الذين يسمون الباباوات إلىٰ غير ذلك يعني من أصناف قوَّاد الكنائس، أُريد منهم أن يجتمعوا في اجتماع [مسؤولي كامل] يحددون فيه عداوة لليهود وخطر اليهود علىٰ النصارىٰ وعلىٰ الأمم النصرانية بعامة، فأبت الكنائس باتفاق أن تفعل ذلك، وهٰذا مما يدلك علىٰ أن الحرب واحدة وعلىٰ أنّ سيطرة اليهود علىٰ أولئك وعلىٰ غيرهم علىٰ أنها مترسخة.

وهٰذا الكتاب ذكر فيه مجموعة من الوسائل التي يُسيطر بها الأمم جميعا، وأعظم الوسائل التي يسيطر بها علىٰ الأمم أن يُسعىٰ في تخلي الأمم عن جميع عصبياتها، وهٰذا هدف وهو وسيلة، فكل أمة لابد أن

يكون عصبية تقوم عليها، فأمة الإسلام عصبيتها التي تجمعها وتتحمس لها وتوالي عليها وتعادي عليها هو دينها وهو الإسلام؛ هو عقيدة لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله؛ عقيدة التوحيد الخالص، فإذا فُرّغت هٰذه الأمة من حماسها إلىٰ عقيدتها وتعصبها للإسلام بأنواع من التفريغ فإنه عند ذلك لا يكون همّ المسلم عقيدتَه، ولا يكون همّ المسلم دينَه، وإنما له اهتمامات كثيرة.

فالوسيلة العظمىٰ عندهم أن تُفرَّغ الأمة من جميع أنواع العصبيات، وحصل لهم ذلك في كثير من بلاد الإسلام، فَفُرِّغ كثير من المسلمين من الانتماء إلىٰ عقيدتهم، فُرِّغ كثير من المسلمين من الانتماء إلىٰ لغتهم.

فتسمع في كثير من بلاد الإسلام المناداة بالوحدة في الأديان جميعا حتىٰ يكون أهل الإسلام وأهل النصرانية وأهل اليهودية وأهل الشرك جميعا كل يعبد ربه الذي يختاره، ولا يكون ذلك مُقيما للعداوات التي يسمونها الطائفية، وهٰذا نوع من أنواع التفريغ الديني للمسلمين بخاصة؛ لأن المنطقة المسلمون هم المسيطرون فيها وهم الكثرة الكاثرة فإذا فرغوا من هٰذا الانتماء وفرغوا من هٰذه العصبية حصل اختلاط وحصل عدم حمية وعدم موالاة في الدين؛ وذلك من أعظم أسباب الضعف الذي يصيب المؤمنين.

أيضا فُرّغت الأمة من لغتها فصار التعصب للغة العربية ضعيفا، لماذا نتعصب للغة العربية؟ اللغة العربية تُجعل في ميادينها فشُجِّعت من وقت مبكر يعين من عقود من الزمان من عشرات السنين، شُجعت المدارس التي تشجع العامية كل في بلده، ففي بلد كذا تشجع اللغة المحلية، وفي بلد كذا تشجع اللغة المحلية؛ بل زاد الأمر علىٰ ذلك فطولب في بعض البلاد بأن نترك اللغات الموجودة الآن ونعود إلىٰ اللغات التي كانت قبل ذلك عصبية.

فأهل المغرب مثلا يعودون إلىٰ اللغة البربرية فيتركون حتىٰ اللهجات المتفرعة من اللغة العربية؛ بل يعودون إلىٰ ما قبل ذلك، وأهل مصر يعودون إلىٰ اللغة التي قبل ذلك، وأهل الشام يعودون إلىٰ ما قبل ذلك وهكذا حتىٰ تفرغ الأمة من رابطة تربطها بكتابها وهو القرآن، فلا رابط بين الأمة بين شرقها وغربها إلا هٰذه اللغة التي تجمعهم علىٰ كتاب الله جل وعلا، فإذا فُرِّغوا من هٰذه اللغة فأصبح طوائف كثيرة من الأمة يتكلمون بلغات مختلفة، وتجد أن لغتهم وثقافتهم إنما هي لغة ثقافة لغوية غير عربية، حتىٰ وجد الضعف وجد الانحلال عن العصبية لهٰذه اللغة.

ولهٰذا العصبية للغة العربية هو طريقٌ للعصبية للديانة لأنه عصبية للقرآن، فكل نوع من أنواع تشجيع اللهجات التي تُبعد الناس عن القرآن تبعد الناس عن اللغة العربية هو نوع من أنواع التشجيع لاضمحلال الاهتمام باللغة العربية، حتىٰ غدا كثير من الناس يقولون فلان معه لغة، مع أنه أجهل الناس باللغة العربية؛ يعنون به الفقر لأنه مهتم بلغات أخرىٰ، ولو سألته في اللغة العربية في معنىٰ آية في القرآن لوجدت أنه يزعم أنه يفهم، وفي الحقيقة أنه ليس له صلة بلغته العربية ولا بآدابها ولا بثقافتها ولا بلسانها الذي ورّثنا إياه أهل الإسلام وأهل اللغة، وقام أجيال تلو أجيال في التأليف وفي نصرة اللغة العربية، إذا نظرت علىٰ المكتبة الإسلامية وجدت فيها آلافا من الكتب في اللغة العربية، ليس ثَم جزء من جزئيات اللغة العربية إلا وفيه تصنيف، حتىٰ أسماء المطر فيه تصنيف، أسماء القمر فيه تصنيف، أسماء الجِمال فيه تصنيف، وهكذا في لغة القرآن في كل جزئية منها فيه مؤلفات؛ ذلك للحفاظ علىٰ هٰذه العصبية التي تربط هٰذه الأمة، فلا يختل هٰذا الانتماء القوي لهٰذه الأمة؛ وهو الانتماء للغة العرب، الذي معناه الانتماء لهٰذا الإسلام ولهٰذا الدين.

نعم، دين الله جل وعلا لمّا جاء أزال العصبيات للهجات المختلفة، وذلك بنزول القرآن علىٰ سبعة أحرف، فالله جل وعلا أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف يعني علىٰ سبع لغات من لغات العرب، علىٰ سبع لهجات من لهجات العرب، حتىٰ يزيل أنواع التعصب للهجات، فلا يكون هناك تعصب للغة قريش ولا تعصب للغة هذيل ولا تعصب للغة تميم، وإنما يكون التعصب للغة العرب التي هي لغة القرآن، فأنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف، ومن الحكمة العظيمة أن يكون القرآن المحفوظ الآن الذي كتبه عثمان غير منقوط يشمل هٰذه الأحرف جميعا، والقراءات التي يقرأ به المسلمون القراءات السبع أو القراءات العشر أو القراءات الأربع عشر، هٰذه القراءات فيها الأحرف السبعة جميعا، فيها خليط للهجات المختلفة، لذلك بعض الآيات يفسر علىٰ لغة كذا.

المقصود أن هٰذا استطراد يحتاج إلىٰ بسط، هٰذا كله ليبقىٰ للمؤمنين العصبية للغة، فإذا تركز اليهود وأعداء الإسلام في وسيلة من وسائلهم علىٰ أن تفرَّغ الأمة من جميع أنواع العصبيات، أن تفرَّغ من العصبية للقبائل، أن تفرَّغ من العصبية لدينها، أن تفرَّغ من العصبية لأرضها، وأن تفرَّغ من العصبية للغتها، فإذا فُرِّغت النفوس من أي نوع من أنواع العصبية بقيت للنفوس -نفوس المسلمين- ولا جامع

يجمعها، فسهل السيطرة عليها؛ بل سهل أن يجعل لها انتماء جديد بوسائل الإعلام المختلفة، انتماء جديد ينتمون به ويتعصبون له، وهو انتماء ما يريحهم في حياتهم ويسعدهم فيما يظنون في حياتهم وهو النظر إلىٰ الحياة الدنيا بمنظر دنيوي بحت.

من الوسائل التي ركّز عليها أولئك: الوسائل المختلفة التي جعلوها مؤثرة علىٰ كل نفس من نفوس أهل الإيمان، من هٰذه الوسائل فيما ذُكر في الكتاب الذي ذكرته لكم كتاب البروتوكولات من الوسائل الصحافة، من الوسائل الفن، من الوسائل وسائل اللهو بأنواعها، من الوسائل الجامعات، من الوسائل المدارس المختلفة، من الوسائل السياحة، وهكذا مما تجدونه مكتوبا في هٰذا الكتاب، وهٰذا مورس في أوروبا وفي أمريكا قبل ذلك، ومورس في بلاد كثيرة في بلاد العالم الإسلامي قبل عقود من الزمن، ونجح ذلك في جعل انتماء طوائف كثيرة من هٰذه الأمة لا لهٰذه الأمة، كما جاء في الحديث في وصف طائفة من هٰذه الأمة بأنّ قلوبهم قلوب الذئاب يتكلّمون بألسنتنا ويلبسون ثيابنا، وهٰذا لاشك أنه نوع من أنواع تفريغ الأمة من أنواع عصبياتها المختلفة بوسائل مختلفة، كما سيأتي إيضاح بعض ذلك.

كذلك إذا نظرت إلىٰ الأمور السياسية، فقه الناس للأمور السياسية أصبح تابعًا للتحليلات تحليلات الأعداء لها، فأصبح إذا حلل الناس في الشرق أو في الغرب حدثا أو حللوا أمرا ما حلله المسلمون حلله المسلمون كما حللوا؛ بل تنافس المسلمون في الإطلاع علىٰ ما عند الغربيين أو ما عند الشرقيين في تحليل الأحداث، وأصبح المثقف منهم من يحلل كتحليلهم، وهٰذا نوع من البعد عن التحليل الذي يجب أن تتميز به هٰذه الأمة؛ لأن التحليل الصحيح هو الذي يصل إلىٰ معرفة الأمور عن طريق معرفة أهدافها، ومعرفة الأهداف هٰذا إنما يكون بالرجوع إلىٰ أصولنا وهو ما جاء في الكتاب والسنة من بيان الأعداء وما يريده أعداؤنا بنا؛ لأن الله ﷻ هو الأعلم بأعدائنا ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾ فإذا نظرنا إلىٰ الأمور المختلفة نظرة أعدائنا لها، فحللنا الوقائع السياسية وحللنا ما يجري في أي بلد علىٰ وفق ما يحلل ذلك الحدث أهله، فإننا نكون دائما تابعين، والتابع لا يمكن أن يتقدم؛ بل التابع دائما يكون تابعا ولا يكمن أن يتميز، وإذا لم نتميز فمعنىٰ ذلك أن نرجع تابعين لأعدائنا أن نرجع نستقي أمورنا من عند أعدائنا، وهٰذا مخالف لما أوجبه الله جل وعلا علينا من اتخاذ الأعداء أعداء وعدم موالاتهم، نعم قد نستفيد من العدو، ولكن استفادة من العدو في ميزاننا، واستفادة من العدو بحسبها، وأما الانسياق وراء

أعداء الأمة في كل ما يقولون في تحليلاتهم وآرائهم؛ بل ونتبارىٰ، والمثقف والذي يفهم هو أعظم الناس إدراكا لما يقول أولئك، فإن هٰذا نوع من الضعف في هٰذه الأمة، والأمة لابد أن تكون قائدة وليست تابعة، ورموز الأمة في العلم وفي الفكر وفي الثقافة يجب أن يبادروا الأمة بالأطروحات الجديدة العميقة التي لا تكون تابعة لغيرهم، يستفيدون -نعم- مما عند الآخرين فالفكر أو العلم أو التحليل هٰذا مما توارده العقول مع البقاء علىٰ أصولنا الشرعية علىٰ أصل البلاء والبراء، علىٰ أصل فهم ما عند الأعداء، علىٰ أصل فهم ما يريده أعداؤنا بنا، أمّا أن نفرَّغ من جميع ولاءاتنا ومن جميع عصبياتنا، حتىٰ نكون تابعين تماما فهٰذا نوع من أنواع الاضمحلال، والأمة إذا اضمحلت فإن كل فرد منها يسعىٰ في مصلحته فقط، في مصلحته الدنيوية فقط، وإن بقي علىٰ الإسلام لكن سيكون همه مصلحته الدنيوية، ولهٰذا ستضيع الأمة إذا لم تكن ثم قائمة لرباط ترتبط به وعصبية تتعصب لها، والله جل وعلا قال لنا في محكم كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[آل عمران]، بيّن جل وعلا أن أصل الاعتصام هو القوىٰ، فالتقوىٰ هي أصل الاعتصام، وأن كل اعتصام ليس علىٰ أساس التقوىٰ فإنه ضرب من ضياع الوقت والجهد؛ لأن العدو أقوىٰ منك، فإذا اعتصمنا بوطنٍ مجرد عن الدين فإن هٰذا ضياع، وإذا اعتصمنا بلغة ليست هي لغة الدين فإن هٰذا ضياع، وبالتالي نكون مخالفين لأصل ما منّ الله به علىٰ هٰذه الأمة من أن يكون سلاحها واعتصامها بحبل الله الذي هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ علىٰ وَفق فهم سلف هٰذه الأمة الصالح، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾، فهٰذا هو الأساس الذي إذا قامت عليه الأمة فإنها تلغي جميع محاولات الأعداء، أما إذا لم تقم علىٰ هٰذا الأساس وهو أن يكون الالتفاف والاعتصام علىٰ كتاب الله جل وعلا وعلىٰ سنة رسوله ﷺ علىٰ وفق فهم سلف هٰذه الأمة الصالح فإنّ هٰذا معناه التفريغ، والتفريغ معناه أن تكون تبعية الناس وولاؤهم من غير الله جل جلاله.

إذا تبيّن لك هٰذا العرض المختصر لبعض الواقع وبعض ما يريده أعداء هٰذه الأمة بها، فما هو دور المؤمنين؟ ما هو دور المسلمين الذي إذا قاموا به فإنهم يضادون هٰذه المعاداة بحسب استطاعتهم؟ نعم الله جل وعلا لا يكلفنا فوق استطاعتنا، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾، ووجود هٰذه العداوة وكون الأعداء

صارت الدولة الآن؛ يعني صارت الأمور الآن والغلبة بشكل عام لهم، فإن هٰذا لا يعني أن لا نقوم بواجبنا؛ بل نجب أن نقوم بواجبنا علىٰ حسب الاستطاعة، كما قال سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾[التغابن:١٦] يجب علينا السمع والطاعة، فالسمع لكتاب الله جل وعلا ولسنة رسوله ﷺ، والطاعة لهما، وأن يكون فيما نعمل متّقين الله حسب استطاعتنا ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، أما الإهمال وترك الواجبات فإن هٰذا لاشك لا يجوز لأنه مخالفة لأمر الله جل جلاله.

المسلمون كما يظهر لك من موضوع المحاضرة عليهم دور، فكل المسلمين كلٌّ علىٰ حسب حاله عليه دور، دور المسلمين في النهوض بالأمة، كلٌّ عليه دور في النهوض بهٰذه الأمة، إذا نظرت بالمسلمين بشكل عام، فإنّ المسلمين يمكن أن نقسّمهم إلىٰ فئات:

فننظر إلىٰ المسلمين علىٰ شكل أفراد، لاشك كل فرد من المسلمين عليه واجب وعليه دور.

الثاني ننظر إلىٰ المسلمين علىٰ شكل مجموعات جماعات عاملة الجماعات الإسلامية العاملة أو المجموعات العاملة بغير انتظام جماعي.

وننظر أيضا إلىٰ طائفة أو شريحة من المسلمين أصحاب المؤسسات المختلفة، سواء كانت مؤسسات تجارية أو مؤسسات إعلامية أو مؤسسات ثقافية أو مؤسسات تعليمية أو مؤسسات صحفية، هؤلاء أصحاب المؤسسات لاشك يكونون مجموعات والمجموعات لهم نظر غير النظر إلىٰ الأفراد.

أيضا تنظر إلىٰ شريحة أخرىٰ من المسلمين هم أهل الفكر أهل الثقافة الذين اطّلعوا علىٰ ما عند الأعداء، يتكلمون اللغات المختلفة؛ فيطلعون علىٰ ما ينشره أعداء الأمة، يطلعون علىٰ ما عند الأعداء، يسافرون ينظرون، فهؤلاء لاشك أيضا عليهم دور قد لا يمارسه غيرهم.

أيضا تنظر إلىٰ شريحة من هٰذه الأمة هي شريحة أهل العلم العلماء وطلبة العلم عليهم دور في النهوض بالأمة ليس علىٰ غيرهم.

أيضا إذا نظرت شريحة أخيرة في الأمة وهم ولاة الأمر علىٰ اختلاف طبقاتهم من ولاية الأمر الصغيرة من قطاع حكومي أو غير حكومي إلىٰ ولاية الأمر العظمىٰ في الأمة.

فكل هٰذه الشرائح كل فئة عليها دور، ويجب أن تعمل بهٰذا الدور حتىٰ تقوم هٰذه الأمة قوية وحتىٰ نجابه أعداءنا، وإذا صدق القول، فإن الأمة الإسلامية اليوم في حرب مع أعدائها؛ لكنها جرب ليست

حرب سلاح في كل مكان ولكنها حرب عقيدة، حرب علم، حرب فكر، حرب ثقافة، حرب انتماء، حرب في جميع أصنافها.

فإذا نظرت إلىٰ الأحوال المختلفة وجدت ذلك بيّنا وتفصيله كما ذكرت في أول المحاضرة يطول، ويحتاج إلىٰ ندوات ومحاضرات، ولابد لأهل الإيمان أن يطّلعوا علىٰ ما كُتب في هٰذا المجال من كتابات لأهل الإسلام المتميزين المعروفين بحُسن عقيدتهم وحسن منهجهم حتىٰ ينظروا إلىٰ الأمور نظرا صائبا واضحا.

نرجع إلىٰ التقسيم:

أفراد هٰذه الأمة أنا وأنت والثاني والثالث هل من المعقول؛ بل هل من الجائز شرعا أن نلقي باللائمة علىٰ غيرنا؟ نعم إن هناك بعض المناهج المطروحة في الساحة التي تخاطب الناس ببيان كيد أعداء الأمة بها دائما توجه اللوم فيما يفعله أعداء هٰذه الأمة بها إلىٰ الغير؛ فتشعر كل فرد من أفراد المؤمنين بأن الواجب علىٰ غيره وليس عليه، فدائما يكون الكلام هٰذا واجب الدول، الحكومة الفلانية فعلت أو الحكومات فعلت أو الحكومات فعلت، وهٰذا فعل كذا والمثقفون يفعلون كذا أو الفئة الفلانية تفعل كذا.

وأسلوب إلقاء اللوم علىٰ الغير هٰذا أسلوب ليس بشرعي؛ بل كل مؤمن مخاطب؛ لأن الله جل وعلا قال لنا: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾، وكثير من المحاولات التي قامت في تعريف الأمة بأعدائها وبيان الدور الذي يجب أن يعمله أهل الإيمان تجاه الأعداء في مجاهدتهم بُيِّن ذلك عن طريق مخاطبة الناس بتبيين أن الواجب في مواجهة الأعداء علىٰ غير الحاضرين، وهٰذا نوع عندي من الخيانة؛ لأني إذا خاطبتكم وقلتُ لكم الواجب أن يواجه الأعداء الحكومات أن يواجه الأعداء العلماء، أن يواجه الأعداء أهل الثقافة، وألغي الدور علىٰ كل واحد منكم، فإن هٰذا نوع من البعد عما يجب شرعا، فإنّ الواجب الشرعي تكليف والتكليف علىٰ كل فرد والفرد هو المخاطب أولا؛ بل كل مجموعة هي عبارة عن أفراد فإذا وعىٰ كل فرد ما يجب عليه شرعا، هناك انتقلنا إلىٰ نطاق المجموعات، وانتقلنا إلىٰ نطاق أكبر، أو إلىٰ قنوات أكبر في الأمة.

لهٰذا أول شريحة من شرائح هٰذه الأمة هي أفراد هٰذه الأمة، فأول ما يجب علىٰ الأفراد أن يستحضروا دائما أن أعظم عدو لهم هو الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وقد يغترّ المرء منا بأن يلقي اللائمة علىٰ غيره فيما يفعله الأعداء؛ لكن هو لا يستطيع أن يقاوم، فيقول: المجتمع فيه كذا وكذا وكثر في المسلمين وهو لا يقاوم.

فإذن أنت الذي غزيت أولا ولم يستطع أن تواجه وتجاهد، فإذا لم تجاهد الشيطان أنت ولم تجاهد نفسك، فإذن لن تجاهد العدو، والله جل وعلا خاطبك أنت بصفتك مكلفا أن تتخذ الشيطان عدوا ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾[فاطر]، قد نجتمع في جلسات مختلفة، وكلٌّ منا نذكر المنكرات ويذكر ما يبثّه الأعداء في الأمة -وإذا قلنا: الأمة نعني به العالم الإسلامي بعامة غير مخصوص ببلد أو مخصوص بنطاق؛ لأننا نرجو أن هٰذه المحاضرة تكون عامة فيما ينفع المسلمين في كل مكان- إذا نظرت فإن كثيرين إذا اجتمعوا فإنه يخاطب بعضهم بعضا بما يزيل الواجب عنه فكأنه غير مخاطب شرعا بما يجب عليه، وهٰذا نوع من الخروج عما يجب شرعا، فإن الواجب شرعا أن تخاطَب أنت بما أمر الله جل وعلا به.

فإذن ما الذي يجب عليك؟ ما دورك في النهوض بالأمة؟

وهٰذه كلمات تحتاج إلىٰ تفصيل:

الدور أولا أن تقوم بإصلاح نفسك، وإذا قلنا: بالأمة النهوض بالأمة، بعض الناس يقول: الأمة أنا مثلا ما أفعل بالأمة الأمة لها أهلها، أنا إذا أنت أهملت فإنه نوع من إهمال في البنيان؛ لأن الثاني سيهمل والثالث سيهمل، وسيؤتىٰ الإسلام من قبل المجموعة كما جاء في الأثر: وإياك أن يؤتىٰ الإسلام من قِبلك، فإن استسلامك أنت وأنت في خضم المعركة؛ ومعنىٰ ذلك أن يستسلم ثان وأن يستسلم ثالث وأن يستلم رابع ثم يستسلم فئام كثيرة، ثم بعد ذلك تغزىٰ الأمة عقديا تغزىٰ الأمة فكريا تغزىٰ الأمة علميا فتذهب خصائصها.

إذن فالواجب الأول متوجه لكل فرد منا، أن يُصلح نفسه وإصلاح نفسك هو أقوىٰ قوة علىٰ العدو، إصلاح نفسك وإعلانك دينك بأي مكان أن لا تكون هيابا من إعلان دينك، إذا كان دينك الذي اعتقدته قائما علىٰ معتقد صحيح وعلىٰ دليل من الكتاب والسنة ولم يكن علىٰ وَفق هوىٰ أو علىٰ وفق آراء لا

دليل عليها، لا يوافق عليها أهل العلم الراسخون فيه، فإذا كنت واثقا من دينك ومن دليله ومن قيامك علىٰ عقيدة صحيحة، فلا تهاب أن تقول به، وقد أخذ النبي ﷺ العهد علىٰ الصحابة أن يقولوا بالحق أينما كانوا، وأن لا تأخذهم بالحق هيبة أحد، وهٰذا هو الواجب، فإذا كان كذلك فواجب كل منا أن يقول ما يعتقده بالطريقة الشرعية الصحيحة بالمجادلة بالتي هي أحسن؛ لكن أن لا نستحي؛ لأن كثيرين من الناس يستحيي من إبداء ما عنده، فإذا كان في مجلس يستحيي أن يبدي الحق الذي عنده خشية أن يوصم بكذا وكذا، وآخر يستحيي أن يكتب وعنده المقدرة؛ أن يكتب في مجالات مختلفة؛ لأنه يقول أنا المخاطب غيري أو أنا ليس عندي المقدرة.

كلٌّ منها لبنة في البنيان فإذا قام كل منا لبنة في البنيان فإذا قام كل منا بما يجب عليه وبما أعطاه الله من القدرة فإنه يكون في ذلك سلسلة من التواصل وسلسلة من القوة؛ لأن السكوت والاستحياء من القيام بالواجب بالطريقة الشرعية، بالمجادلة بالتي هي أحسن، بما يحصل المقصود ويرجح المصالح ويدرأ المفاسد، هٰذا يجعل الأمة تضعف، ولذلك يخاطب كل منا بأن يكون مملوءًا قلبُه بالحق، بأن لا يكون هيابا للإبداء ما عنده، وليس معنىٰ الجرأة في قول الحق أن تقول الحق بصفة ليست شرعية؛ بل تقول الحق بصفة شرعية، ولو كانت الكلمة أهدأ ما تكون فإن الحق عليه نور، وليس الحق برفع الصوت، وإنما الحق في الكلمة.

لهٰذا قيل للإمام مالك: الرجل تكون عنده السنة أيجادل عليها؟ قال: لا، يقول بالسنة فإن قبلت فذاك وإن لم تقبل منه سكت.

وهٰذا ينبغي أن تقول ما عندك وأن لا تكون هيابا في قول ما عندك بثقة، في أي مكان، في أي بلد كنت، في أي مجتمع كنت، أن تقول بما عندك غير هيّاب؛ لأن هٰذا نوع من إعلان العقيدة ومن إظهار الإسلام.

بناء البيت، أنت أيضا مخاطب بأن تبني بيتك بناء شرعيا، وأن لا تجعل العدو إلىٰ بيتك، وسبل العدو كما عرفت كثيرة ومتنوعة، وإذا فرطنا في دخول الأعداء إلىٰ البيوت بالوسائل المختلفة، فإن هٰذا نوع من التفريط في كثير من أوامر الشريعة، وكثير من أوامر الإسلام؛ لأن العدو ينفذ إليك شيئا فشيئا.

فإذن قيام البيوت قيام الأسر بتربية صحيحة شرعية، هٰذا من الواجب الذي يتوجّه لكل فرد، وهو من الدور الذي عمله كثيرون إذا علمه الأكثر في هٰذه الأمة ستنهض وستقوىٰ.

إذا نظرت إلىٰ واجبك في كل مكان أنت تكون فيه، في مكتبك، في عملك، في صلتك بأصدقائك، في أسرتك الكبيرة، كلٌّ عليه واجب بحسب استطاعته فإذا قمت بدورك في ذلك ولم تستسلم لغيرك؛ فإن ذلك هو من اتقائك لله ما استطعت.

فإذن الأفراد عليهم دور يترتّب بحسب القطاع الذي هم فيه، كل مكان أنت فيه فإن عليك دورا وإذا فرطت فاستغفر الله جل وعلا.

ولهٰذا يرىٰ أهل العلم البصيرون بحق الله جل وعلا أننا اليوم جميعا أحوج ما نكون إلىٰ الاستغفار، ولو استغفرنا ليلا ونهارا لم يكن كثيرا لأننا نغشىٰ التقصير والذنوب في كل مكان، ولابد من الاستغفار الكثير والعبد بقدر معرفته بتفريطه يعظم علمه بالله جل وعلا وعلمه بحاجته إلىٰ الاستغفار.

شريحة أخرىٰ وفئة أخرىٰ من المسلمين: الجماعات، وإذا قلنا الجماعات فنعني بها الجماعات بشكل عام، سواء كانت جماعات عاملة للدعوة، أو كانت جماعات في إطار معين لعمل أي عمل كان؛ لعمل تجاري، لعمل منظم، لعمل غير منظم، هٰذه الجماعات كثيرة في بلاد الإسلام، واليوم صار الحديث عن الجماعات الإسلامية عند كل أحد، وليس بخاف الحديث عن الجماعات ولا عن أسمائها ولا عن مناهجها إلىٰ آخره؛ لكننا في حديثنا هٰذا نقول: إن علىٰ الجماعات الإسلامية واجبات ودور للنهوض بهٰذه الأمة:

أولا لتنظر إلىٰ نفسها محاسبة ماذا حصلت ببقاء التنظيمات الجماعية علىٰ شكل حزبي منظم؟ ماذا حصلت في الماضي؟ وهل كان ذلك الذي عملته -ولن نناقشه شرعيا لأنهم قد لا يقتنعون بذلك في مثل هٰذا المقام القصير- هل حصلت وائد أم لم تحصل فوائد؟ والواقع أن وجود التحزّبات الجماعية ووجود الجماعات المنظمة العاملة للإسلام كشريحة من شرائح المسلمين عطّل كثيرا من المصالح في الزمن الماضي؛ لأن أهل الجماعات من ديدنهم أن ينغلقوا علىٰ أنفسهم وأن يربوا الشباب علىٰ الانغلاق، والأمة فُتح عليها أنواع من الشر من عقود من عشرات السنين، وهؤلاء في أنفسهم يتجمعون حول أنفسهم، ويلقون باللائمة علىٰ غيرهم، وإنما انتبه إلىٰ ذلك أخيرا في بعض بلاد الإسلام، وانفتح طائفة من الداعين للإسلام أو من المهتمين، وتخلصوا من الأطر الجماعية وانفتحوا علىٰ أهل الإسلام والتوجيهات العامة للأمة؛ فحصل من كثير منهم خيرا كثيرا، وهٰذا لابد أن ينظر فيه.

وأن من أسباب النهوض بالأمة أن لا نفرّق الأمة وبقاء الجماعات الآن مع وضوح المناهج ووضوح هٰذه الجماعات وأصبح الصغير يتحدث عن الجماعة الفلانية وعن الجماعة الأخرىٰ، وهٰذه ميزاتها كذا وهٰذه ميزتها كذا، وهٰذا يحكّم أن تلغىٰ هٰذه الأطر جميعا لئلا تفرق الأمة؛ لأنه إذا نشأ ناشئ مع بقاء هٰذا النوع من أنواع التفرق وأصبح الجميع يتحدث فيه فهو إذن إقرار لمجموعات متفرقة فهو إقرار لمذاهب مختلفة، وإذا كان العلماء قد قالوا لنا: إن التعصب للأئمة الأربعة لا يجوز؛ التعصب لأحمد إمام أهل السنة والجماعة، التعصب له في الفقه لا يجوز، والتعصب للشافعي لا يجوز، والتعصب لمالك إمام دار الهجرة لا يجوز، والتعصب لأبي حنيفة لا يجوز، فإن التعصب لغيره من باب أولىٰ أن ينعقد الإجماع السلفي أن لا يجوز؛ لأن تلك التعصبات نوع من أنواع النخر في الأمة وإلغاء الجماعة الواحدة وإحياء للتفرق؛ بل وترسيخ للتفرق، وأنت ترىٰ اليوم في المسجد الواحد في بعض بلاد الإسلام ترىٰ يصفّ في الصف الواحد عشرون وثلاثون ثم تراهم متفرقين كل لا يوالي الآخر موالاة تامة، وهٰذا لاشك أنه من أعظم وسائل الشيطان، وإذا كان من الأهداف التي يركز عليها الأعداء الصحافة ويقولوا كما جاء في كتاب البروتوكولات المذكور: يجب أن نجعل الصحافة وسيلة كمن وسائل إحياء التفرق في الأمم التي نريد أن نسيطر عليها؛ لأنها وسيلة عامة، فبدل أن نرىٰ المؤمنين مجتمعين نراهم يتفرقون شيئا فشيئا.

فلذلك قول: إن من المصلحة الشرعية المتحتمة في هٰذا الزمن للنهوض بهٰذه الأمة أن تلغىٰ جميع الأطر العاملة للإسلام، أن تلغىٰ جميع الأطر بتحزباتها المختلفة، وأن ينفتح المؤمنون علىٰ كلمة سواء يلتقي عليها الجميع تحت راية أهل العلم الراسخين فيه، ولا عجب إذن أن ندعو إلىٰ أن يجتمع أهل العلم من كل قطر وأهل العلم الذين يُتّبعون الذين تسمع كلمتهم أن يجتمعوا وأن يحددوا للناس العاملين للإسلام والمهتمين بالدعوة في كل مكان؛ أن يحددوا لهم منهجا عاما يسيرون عليه ويأتلفون عليه، وما يجب أن يكون عليه الجميع وما يسوغ فيه الاجتهاد، وما لا يسوغ فيه الاجتهاد فهٰذا لا يسوغ لأحد أن يخالفه لأن المؤمنين إجماعهم يجب أتباعه، وما يسوغ فيه الاجتهاد فهٰذا لا يلوم فيه الآخر؛ لأنه من القواعد المتقررة عند أهل العلم أنه لا إنكار ففي مسائل الاجتهاد؛ لكن ينبع ذلك من كلام أهل العلم الراسخين فيه، الذين يعلمون فيه حدود ما أنزل الله علىٰ رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

إذن شريحة من شرائح المجتمع عليها واجب، وهٰذه الشريحة هي الجماعات العاملة للإسلام.

الواجب الثاني عليها أن تتقي الله جل وعلا في الأمة في عقول الناس جميعا وفي عقول شبابها، وأن لا تجعل من أساسيات تربية الشباب أن تقوم عقولهم علىٰ خيالات؛ غير متأصلة تأصيلا شرعيا، فإننا قابلنا مجموعات كثيرة من الشباب في الداخل وفي الخارج فوجدنا أنهم بنوا فهمهم للواقع علىٰ أمور غير واقعية؛ بل وجدنا أن بعضهم يردد كلاما لا أصل له، وإنما تلقاه في مجلس وأصبح يردد ما سمعه في مجلس، وإذا تتبعت الأمر وجدت أنه ليس بصحيح؛ بل إذا نطق أو ناطق في تحليل مسألة ما أو حدث ما تبعه الناس، وكأن الخاصة الذين هم اتباع الدعوات الإسلامية أو المتمسكون بالإسلام، كأن الخاصة أصبح يقلّد بعضهم بعضا وأصبح أول متكلم هو الذي يتّبع؛ بل أصبح الذي هو أشد في كلمته هو الذي معه الحق، وهٰذا ليس بصحيح، فإنه في زمن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وتعلمون قصة الحديبية وحصل ما حصل، وكان موقف عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو أشد هو أشد المواقف وكان موقف غيره كان ألين منه، ومع ذلك كان الصواب ليس مع عمر؛ بل إن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ شرع لهم ما شرع في مسألة صلح الحديبية، ولما شرع لهم ما شرع صار الحق مع من لا يُرىٰ ظاهرا أنه الأشد؛ بل الحق والأشد هو مع المصطفىٰ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

فإذن كون الشباب يربون دائما علىٰ أن القول الأشد هو الأصوب هٰذه تربية خاطئة، فقد يكون القول الأخف هو الأحكم وهو الأعم نفعا، وأنت ترىٰ ما حصل في الأزمة في أزمة الخليج وما بعدها وأن الخلاف بين الجماعات المختلفة وتداول الرأي أنه حصل بسببه فرقة في الأمة يعيش المؤمنون في كل مكان يعيشون نتيجتها ونتيجة التفرق فيها ونتيجة عدم الرجوع فيها إلىٰ كلمة واحدة سواء؛ إلىٰ كلمة أهل العلم الراسخين فيه.

وهٰذا نوع يجب أن نستفيده من أنواع ما يجب الاجتماع عليه، فإن الأمة إذا أرادت أن تنهض فإنّ علىٰ الخاصة أن يتفقوا، وإذا نظرت إلىٰ الجهاد الذي قام في شرق أو في غرب لما لم يتفق أهله علىٰ كلمة سواء فإنه لن ينتج؛ لأن الحزبيات المختلفة لا يمكن أن تتفق كما قال بعض المفكرين المعاصرين إنه لو وصل بعض الأحزاب الإسلامية إلىٰ الحكم فإنهم سيفعلون ببعض الأحزاب الأخرىٰ مثل ما يفعل المستبدون بأهل الجماعات الإسلامية بعامة، كما قاله محمد قطب في بعض كتبه؛ يعني أن العداوة ولو كانت بين جماعة إسلامية وجماعة إسلامية فإن العداوة هي العداوة.

تتصور أحانا في شكل أنها عداوة بين مسلم وكافر، تتصور أحيانا بين كذا وكذا في أشد أنواع العداوات بل قد يصل الأمر إلىٰ أن يكون فرد من أفراد الجماعات يجد في نفسه من البغض والحنق علىٰ من في الجماعة الأخرىٰ أعظم مما يجد في نفسه من البغض علىٰ الكافر الأصلي، وهٰذا حرّك النفوس وترىٰ ذلك ماثلا والمغالطات ليس لها مكان عندنا، وكل يعرف ما يجول في خاطره أو ما جال في خاطره.

وهٰذا أيها الإخوان مما يُدمي القلب أن يكون ذلك موجودا في أهل الإسلام، فيجب علينا أن نُوالي في الله، وأن نحب في الله وأن نبغض في الله. وأنّ الموالاة بحسب الإيمان، فكلما كان المؤمن مسدّدا كلما كانت موالاته أكثر، فالموالاة للإيمان ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة:٧١].

أيضا إذا نظرنا إلىٰ الجماعات الأخرىٰ، الجماعات بصفة عامة سواء كانت عاملة للدين للإسلام بخصوصه في الدعوة أو كانت تعمل لأهداف أخر، الجماعات لاشك الوجود الجماعي الله أثره، والخطاب الجماعي غير الخطاب الفردي، لهٰذا قال بعض المفكرين الذين ظهروا في القرن الماضي: إن الجماهير إنما يصلحها الخطاب العاطفي ولا يصلحها الخطاب البرهاني؛ يعني إذا أراد أن يقود الجماهير، أن يقود الناس بعامة، فإنه لا يصلح أن تقودها بما يد عليه البرهان؛ لأن الجماهير غير محتملة للدلالة العقلية بعامة للدلالة البرهانية للدلالة عن هٰذه المسألة، لابد أن نبحث عن دليلها وعن تحليلها، إنما الجماهير تنقاد بالخطاب العاطفي، وهٰذه مسألة من المسائل المهمة التي يجب أن تقوم في قلب كل مسلم، أن لا ينقاد بالعاطفة؛ لأن العاطفة تحرك، لكن العاطفة ليست هي الخطاب البرهاني، الخطاب العاطفي أن تتحرك بعاطفتك ولكن دون نظر إلىٰ البرهان والدليل، والحق أن تتبع الدليل، الحق أن لا تكون في شيء إلا عن برهان، هٰذا الذي ورثناه أئمة أهل السنة والجماعة في أن نسير علىٰ الأدلة.

نعم يصلح أن أخطب الجمعة مرة وأن أحرك الناس علىٰ أي منحىٰ أشاء، والناس سيتحركون إذا كان الكلام عاطفيا، وإذا أظهرت الأعداء بصورة معينة، سأستطيع -ليس بصفتي المتحدث-يعني يستطيع أي خطيب أن يحرك الناس إلىٰ أي جهة شاء، إلىٰ أي مكان ولكن ليس هٰذا الذي ينبغي علىٰ الجماعات العاملة لأي في أي شيء، وإنما الذي يجب عليها أن تربِّي الأفراد بشكل عام علىٰ الخطاب البرهاني شيئا فشيئا، بحيث تتوسع مداركهم ويتوسع عقلهم للأشياء؛ لأنك إذا ربّيت الناس علىٰ خطاب عاطفي غير برهاني فإنه سيكون بيد الأعداء كما تراه اليوم من الخطاب العاطفي الشهواني، من الخطاب الذي يوافق

الهوىٰ أعظم مما عندك، أنا كم أخاطب الناس بعاطفة؟ أخاطبهم بعاطفة مرة في الأسبوع أو مرتين أو ثلاث في الأسبوع؛ لكن الأعداء معهم خطاب عاطفي ليلا نهارا، منذ أن يصبحوا إلىٰ أن يمسوا وهم يوجهون إلىٰ أنواع من الخطاب.

وإذا قلنا الخطاب العاطفي يعني الذي يخالف أنفسهم بما فيه، الناس لهم غرائز مختلفة، لهم عاطفة لدينهم، لهم عاطفة لدنياهم، لهم عاطفة لشهواتهم، لهم عاطفة لمالهم، لهم عاطفة للنساء إلىٰ آخره، فإذا جُعل الناس يتربون علىٰ الخطاب العاطفي فإنه سيضلون لذلك، كان الواجب أن يكون الخطاب غالبا خطابا برهانيا، فإذا أحتيج إلىٰ العاطفة فعلىٰ وصف الدليل الشرعي، حتىٰ يكون القلب قائما قياما صحيحا.

فئة أخرىٰ من فئات المجتمع من فئات المسلمين بعامة؛ وهي فئة المؤسسات، والأزمنة الحاضرة أزمنة يصح أن تسمىٰ بأزمنة المؤسسات، الأعمال الفردية لم يعد لها مجال، فكل عمل يراد له التأثير فإنما يكون طريق مؤسسي؛ يعني عن طريق جماعي مؤسسي، ولهٰذا إذا نظرت إلىٰ المؤسسات التي كثرت في المسلمين، فإن علىٰ هٰذه المؤسسات دورا وأن النهوض بهٰذه الأمة كما أنه في الزمن الماضي كان منوطا بالأفراد أكثر منه منوطا بالجماعات؛ يعني بمجموعات الناس، فإنه في هٰذا الزمن نصرة الإسلام والجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله ورد كيد المشركين هو في هٰذا الزمن منوط بالمؤسسات وبالمجموعات أكثر منه منوطا بالأفراد.

لهٰذا نقول: المؤسسات التجارية هٰذه في أي مكان ويدخل فيه الشركات إلىٰ غيره؛ يعني المؤسسات الجماعية التي للتجارة هٰذه عليها واجب في أن تقوم بالنهوض بالأمَّة.

فمثلا المؤسسات أو الشركات التجارية، إذا نظرنا إلىٰ الأمة بعامة فإن مواقع كثيرة من أمة الإسلام في بلاد كثيرة فيها من الخيرات الأرضية التي جعلها الله جل وعلا في الأرض، وفيها من قدرات أهل الإسلام في تلك البلاد ما يجعلنا إذا صرفنا تلك الأموال ووجهناها إلىٰ بلاد لتنهض فيها القوة وتنهض فيها الصناعات ما يمكن أن تحصل علىٰ قوة في الصناعة وعلىٰ قوة أيضا في الدعوة علىٰ طريق واحد، فإن توجيه الاستثمار المالي في المؤسسات إلىٰ الدول الإسلامية التي فيها الخيرات؛ فيها خيرات الرجال،

فيها خيرات العاملين، فيها الخيرات الأرضية، إن توجيه الاستثمار لها والاستفادة مما فيها هٰذا مما يهيئ القوة للمؤمنين ويجعلهم مترابطين، ويجعل أمة الإسلام أيضا قوية في استغلال خيراتها.

ونحن نعلم أن الاستعمار في الزمن الأول تسلّط علىٰ دول الإسلام وسلب خيراتها، وفي هٰذا الزمن نجد أنه مثلا في بعض بلدان آسيا فيها خيرات كثيرة؛ لكن ليس عندها مال، ليس عند أهلها مال، في أفريقيا ثم فيها خيرات كثيرة زراعية وصناعية وثَم أفراد مع رخص في أجرة الفرد ومع رخص في استغلال الأرض إلىٰ غير ذلك نجد أن ذلك إلىٰ أهل الاستثمار في المؤسسات فيكون الدعوة للإسلام عن ذلك الطريق، فيحتاج مثلا إلىٰ جهة تدعو إلىٰ الله جل وعلا حكومية أو غير حكومية في أن تبعث داعية أو بعض الدعاة ليمكثوا في بلد وربما دعوا الناس بأوقات محدودة وربما استجاب لهم بضع عشرات الناس وأهل الأموال يمكن أن يستثمروا أموالهم وأن يستثمروا الخيرات التي في بعض بلاد المسلمين أن يستثمروها في تلك البلاد وأن يجعلوا من استثمارهم دعوة إليهم، فإن تلك الدعوة باستثمار الأموال في تلك البلاد يقوم مقام مئات الدعاة الذين يُرسلون إلىٰ تلك البلاد.

فانظر مثلا إلىٰ شركة لو أقامت مصانع وأقامت معامل مختلفة أو أقامت مزارع فيما يحصِّلون، أقامتها في بلد كم العاملون؟ فيكون العالمون فيها بالآلاف، ولاشك لأن الشركات الكبرىٰ والمؤسسات الكبرىٰ العاملون فيها يقدرون بالآلاف، فإذا كان الآلاف سيضبطهم الذي هو يحمي عقيدته ويشعر بواجبه تجاه دينه وتجاه أمته، فإنها دعوة لآلاف العاملين فهؤلاء إذا دعوا فهو دعوة لأسرهم.

فإذن نكون نواة لأسر صالحة ونواة لأمم مجاهدة في بلدان أخرىٰ عن طريق هٰذه المؤسسات، وهٰذه لمحة أو واحد من أشياء كثيرة يمكن أن تبذلها تلك المؤسسات التجارية عن طريق التجارة، عن طريق استثمار في بعض البلاد، استثمر بعض أهل هٰذه البلد في بعض الولايات الروسية، وربما أنهم جعلوا من استثمارهم التجاري فرصة للدعوة في تلك البلاد ونجح بعضهم في ذلك، وهٰذا لو توسع فيه أهل المؤسسات وأهل رؤوس الأموال لكان أنفع من إرسال عشرات الدعاة، فيكون الدعاة إذا أرسلوا من طلبة العلم في ذلك كالمشرفين علىٰ هٰذه المئات من الناس والمئات من الأسر التي التزمت بدين الله عن هٰذا الطريق.

إذا نظرنا مثلا إلىٰ المؤسسات الصحفية، والصحافة بشكل عام هي لغة هٰذا اليوم، والناس لو نظرت إلىٰ الفرد يعني بعامة بشكل إجمالي كم يقرأ من الصحف في اليوم؟ لوجدت أنه يقرأ ما يعادل مائة صفحة إن لم يكن أكثر، لو جمعت له كتاب قلت له هٰذا مائة صفحة تقرأها في اليوم؟ قال: أقرأ مائة صفحة في اليوم، وهو يقرأ من الصحف أكثر من ذلك برغبة وإقبال وشغف لما فيها، وهٰذا يجعل الصحافة، يجعل الصحافة مؤثرة في الأمة تأثيرا بليغا، والصحافة كما هو معلوم تلقي والناس أكثرهم يتلقون بلا تحليل، أكثر الذي يقرأ يقرأ بلا تحليل، وكأن الذي نشر هو يفتح له مدارك عقلية ويفتح له آفاقا ينظر بها إلىٰ الناس، ينظر بها إلىٰ التحليلات في المجتمع وهو خِلْوٌ من المشاركة في هٰذه الأمور ولك يؤثر عليه عن طريق هٰذه الصحافة.

ولهٰذا نقول: إن علىٰ المؤسسات الصحفية لاشك أن عليها دورا عظيما تجاه هٰذه الأمة في النهوض بها، فالله الله لتلك المؤسسات الصحفية أن لا تكون قائمة بدورها في هٰذه الأمة، الله الله أن تكون قائمة بواجبها لأن الصحافة هي أعظم الوسائل أو من أعظم الوسائل في هٰذا العصر.

نقول لأصحاب هٰذه المؤسسات الصحفية من رؤساء تحرير ومن مجالس إدارة ومن صحفيين: كلٌّ منكم عليه أن يحقق الانتماء لدينه، فإنه مجاهد إذا قام بالكلمة، مجاهد إذا ربىٰ الناس، إذا كان الأب إذا جلس في أربعة من أبنائه أو خمس أو ثلاثة أو أقل أو أكثر فوجههم بكلمة واحدة ربما أثرت، فكيف بصحفي يقرأ كلامه مئات الآلاف من الناس؛ بل ربما ملايين في بعض الصحف لاشك أن كل واحد عليه أن لا يحقر من المعروف شيئا فإنه إذا قال كلمة خيرة فقرأها واحد فتأثر بها، فإن له أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة، وكذلك إذا أحيىٰ في الناس الانتماء للإسلام أصبح أرباب الصحافة بشكل عام عليه دورهم أن يحيوا في الناس الارتباط بأمتهم، أن يحيوا الدفاع عن عقيدتهم، أن يحيوا في الناس الانتماء لـ: لا إله إلا الله محمد رسول الله. أن يحيوا في الناس التعصب والالتفاف حول كتاب الله وسنة رسوله امتثالا لقول الله جل وعلا: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران:١٠٣]، وامتثالا لقول الله جل وعلا: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[المائدة:٢]، صاحب المقالة، صاحب الزاوية الثانية، صاحب التحليل لا نكن تابعين لغيرنا فإن المؤسسات الصحفية قد ينفذ الأعداء منها إذا كانت تابعة لغيرها، أما إذا كانت متميزة ما استطاعت فاتقوا الله ما استطعتم بحسب ما عندها،

وحافظت علىٰ إسلامها، حافظت علىٰ اهتماما الأمة بينها، حافظت علىٰ شعور الأمة، حافظت علىٰ كل ما انتماء الناس لأمتهم، وسعت في ربط همة المسلمين وفي نهوض الوازع العام وتقوىٰ الله جل وعلا في الناس، لاشك أنها ستكون قائمة يوع من أنواع الجهاد الذي يؤجرون عليه، والله جل وعلا أمرنا جميعا أن نجاهد بجميع أصنافنا، أن نجاهد كلٌّ حسب استطاعته، وكل في مجاله والصحفي ورئيس التحرير عليه أن يجاهد في مجاله.

**قد يظن بعض الناس أن التقدم أن نلحق بالغربيين، وأن تقدم الصحافة أن تسعىٰ وراء ما يطرحه الغرب، وهٰذا في الحقيقة لن يصل أصحابه إلىٰ شيء**، فالأمم أو المجمعات الإسلامية التي سبقت في مجال الصحافة بعقود من الزمان ماذا عن أنتجت اليوم لأهلها؟ قلدوا الغرب من مائة سنة ولا يزالون يلحقون، ولن يستطيعوا أن يلحقوا؛ لأن المجتمع المتقدم سابق وليبس معه من القدرات ما ليس معك، لذلك عليك أن تكون متميزا علىٰ المؤسسات الصحفية من الدور أن تكون متميزة، وأن لا تكون ضعيفة في داخلها وأن تقول هٰذا العام هكذا، أو كما قال بعضهم: أنا لا أستطيع أن أحجب الشمس، مما يوحي أن هناك ضعفا كامنا في بعض النفوس نعم إن من الصحفيين من قام بواجبه وجزىٰ الله خيرا كل من قام بواجبه جزاه الله خيرا.

ولكن نقول إن علىٰ الجميع دورا، وأما أن يكون ثم من يقوم بهٰذا الدور وثم من لا يقوم به، فإنه يجب حينئذ أن نبين أن علىٰ الجميع أن يقوم بدوره، وأن ينهض بواجب الإسلام، الصحيفة يقرؤها القارئ في عمله وفي سوقه إلىٰ آخره، حتىٰ الأمر البسيط في الصحيفة مثل مثلا الرسوم -مع أن الرسوم التي تسمىٰ الكاريكاتير والرسم إذا كان لذي روح كما هو معلوم فهو حرام ولا يجوز رسمه- الذي يرسم هٰذا نقول رسمك له لا يجوز فإذا رسم مرتكبا للحرام، فإنه إذا رسم مرتكبا للحرام فإنه إذا رسم مهينا للأمة أو إذا رسم باعثا لشيء من أنواع الفساد في الأمة فإن عليه من الوزر وزرين الوزر الأول والوزر الثاني، وأما إذا بعث في الأمة بهٰذا الذي يفعله من ما يميزها أو مما يبعث فيها ما يبعث، فإن هٰذا دور والمؤمن ربما خلط عملا صالحا وآخر سيئا.

إذا نظرت إلىٰ أصحاب المؤسسات الإعلامية بشكل عام، دور النشر، فإنها تنشر أشياء كثير، أيضا عليها دور، والمقام يضيق عن تفصيل أنواع المؤسسات، المؤسسات الإعلامية المختلفة، الإعلام

المسموع، الإعلام المنظور، الذي سيطر على الناس الآن في وسائل مختلفة بالراديو وبالتلفزيون وبالأطباق التي تستقبل، وأنواع مما يصل إلى الناس، هؤلاء لا شك إما أن يكونوا أداة لأعداء الأمة في إيصال أنواع الفساد؛ بل وإيصال الخلل العقدي للنفوس، وإما أن يكونوا أداة لإحياء العقيدة في نفوس الناس، قيل عن بعض هٰذه القنوات الإعلامية المختلفة أنها تركّز على إلغاء الانتماء الديني تماما وحتى يكون المسلم أخا للنصراني وأخا لغيره، وأن تكون القضية للجميع وأن يكون هٰذا وهٰذا إخوانا ويُلغى جميع الفرقات الدينية فيما يبثون وهٰذا نوع من أنواع التفريق الذي يركز عليه الأعداء من اليهود والنصارى وغيرهم، حتى لا يكون لهٰذه الأمة نوع من أنواع الانتماء الواضح لدينها.

الفساد بنشر أمور الفساد المتعلق بالنساء، والنساء أخطر الفتن على هٰذه الأمة كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» فإن الرجل يُفرَّغ من جميع اهتمامته إذا ألغي من داخله وإلغاؤه من داخله يكون بفتنته بالمرأة فإذا كانت صورة المرأة والشغف بها تقابله في الصحيفة وتقابله في التلفاز، وفي أنواع شتى في ليله ونهاره وتقابله في عمله وتقابله في سوقه فأي تفسير يكون عنده بعد ذلك في أنواع الاهتمامات الأخرى خاصة الشعوب والأمم التي لم تألف ذلك فإن شغفها بالجديد يكون أعظم وافتتانها بالنساء يكون أعظم، وهٰذه الأمة فتنتها في شيئين في النساء وفي المال كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.

فإذن على المؤسسات الإعلامية بعامة أن تكون باعثة لعقيدة الأمة باعثة لقضايا الأمة وأن تكون منكرة للمنكر الذي يبث في الأمة الذي حرمه الله جل وعلا وحرمه رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

إذا نظرنا إلى شريحة أخرى من شرائح المجتمع طلبة العلم وأهل العلم، الزمن هٰذا ليس زمن راحة، ليس زمن نوم، ليس زمن لهو، إنما هو زمن جهاد وهٰذا مما يُعظم الأجر على الناس، النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أخبرنا أنه في آخر الزمان تكون أيام الصبر؛ «**فإن من ورائكم أيام الصبر**»، قال الصحابي: وما أيام الصبر يا رسول الله؟ قال: «**للعامل فيها أجر خمسين**» قال: يا رسول الله منا أو منهم؟ قال: «**بل منكم**» في العامل فيها المتسمك بالسنة في أيام الصبر له أجر خمسين ممن يعملون بمثل عمله، وهٰذا لاشك أنه يجعل التبعة عظيمة؛ لأننا نرى اليوم أن الأكثر معجب برأيه، أصبح الطفل الذي له ثمان سنين وعشر سنين يجادلك في قضايا كبار، كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في وصفه لما يحصل في آخر الزمان قال:

«**وإعجاب كل ذي رأي برأيه**» بدأ بوادره أصبح الجاهل يجادلك في القضايا حتىٰ في الأمور الدينية أصبح الصغير يجادل وأصبحت البنت تجادل وأصبحت المرأة تجادل، فأعجب كل ذي رأي برأيه، وهٰذا التبعة علىٰ أهل العلم وعلىٰ طلبة العلم وعلىٰ المنتسبين للعلم، جعل التبعة عليهم كبيرة جدا، فإنّ عليهم دورا كبيرا في الأمة فالزمن اليوم زمن جهاد، فعليهم من الدور أن ينشروا العلم الذي منّ الله جل وعلا بجعله في نفوسهم ينشروه بالكلمة المسموعة، ينشروه بالكلمة المقروءة، ينشروه بالالتقاء بالناس أن يفتحوا صدورهم للناس وأن يختلطوا بهم نعم كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**إن لنفسك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لربك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه**» ونرىٰ في كثير من الناس أنهم جعلوا الحق لأنفسهم كبيرا، فليس في هٰذا الزمان ليس في هٰذا الزمان زمان للهو، الذين يذهبون ذهابا كثيرا للهو ويقضون ليالي للهو في قيل وقال أو يستمتعون بما يستمتعون به وهم من أهل العلم وخاصته أو من طلبة العلم نقول لهم: إن الأمة بحاجة إليكم وإن عليكم دورا لن يقوم به إلا أنتم فأنتم حملة العلم وأنتم محصلوه الذين جاء فيهم الحديث «**يحمل هٰذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الجاهلين وتأويل المبطلين**» فالجاهلون كثير، فمن الذين ينفون عن العلم والدين تحريف الجهلة، في كل مكان؟ إنما هم أهل العلم، من الذين يحملون هٰذا العلم فينفون عنه تأويل المبطلين، إنما هم أهل العلم، فعليهم أن يجلسوا للناس في مساجدهم، وأن يعلموا الجاهل وأن لا يحقروا من المعروف شيئا، فإن الكلمة الهادئة تنفع وتسير في الناس مع النية الخالصة، وعليهم في ذلك كله أن لا يطلبوا شهرة وأن لا يطلبوا سمعة، وإنما أن ينجوا كفافا ولن تزول قدما عبد يوم القيامة متىٰ يسأل عن علمه، ماذا عمل فيه؟ كيف عملت هل بلغت ذلك هل أديته؟ وكثير من الناس عنده علم لكن يقول: الواجب علىٰ غيري، هل علماء الأمة عشرة أو إذا كانوا عشرين، هل يقومون بواجب هٰذه الأمة جميعا؟ لا، لن يستطيعوا ولو قاموا كل يوم في كل ساعة بواجب لن يستطيعوا لأنهم قليل والأمة الآن تكثر، وإذا نظرت في تعداد السكان فإنه يزيد في كل سنة يزيد، وبعد خمس نسن كم سيكون عدد الناس مثلا في بلادنا هٰذه سيتضاعف، وبعد عشر سنين سيتضاعف.

فإذن الناس بحاجة أشد ما يكونون بحاجة إلىٰ أن يكثر أهل العلم، لذلك يجب أن تكثر الدروس العلمية وأن تكثر الدورات العلمية وأن يكثر بعث الناس بعث العلم في الناس؛ لأن هؤلاء هم القاعدة

الذين سينتشرون في الناس، فلنفرض أنه صار عندنا عشرة آلاف طالب علم هل سيكفون؟ لن يكفوا، لو صار عندنا عشرون ألفا من طلبة العلم، هل سيكفون الأمة في شرق الأرض؟ لن يكفوا.

إذن الواجب كبير في نشر العلم وفي إخراج طلبة العلم، حتىٰ إذا مات هٰذا الجيل يكون ثم جيل يحملون هٰذا العلم علىٰ وفق كتاب الله وسنة رسوله وعلىٰ وفي سلف هٰذه الأمة الصالح؛ لأنه لابد أن تبقىٰ الطائفة المنصورة، وهٰذه الطائفة إنما تبقىٰ بجهد أهلها وجهادهم بعد توفيق الله جل وعلا، وقد صح عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أنه قال في هٰذه الطائفة المنصورة: «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة**»، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: هٰذه الطائفة منصورة في كل زمان، إما نصرة سيف وسنان، وإما نصرة بيان ولسان. لأن معها القرآن، والقرآن هو الحق الذي يعلو ولن يعلىٰ عليه، وبيان الله جل وعلا هو الحق المطلق الذي يعلو علىٰ جميع أنواع البيان الأخرىٰ، كما قال سبحانه: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[الفرقان]، فإذا كان كذلك فعلينا أن نجاهد، وهٰذا شرف عظيم أن نكون من هٰذه الطائفة المنصورة، وأخص هٰذه الطائفة المنصورة أخصهم أهل العلم الذين ينشرون العلم ويبينونه.

إذن طالب العلم عليه واجب، لا يقل طالب العلم: ليس علي واجب إنما هو علىٰ العلماء، عليك ما تستطيع فاتقوا الله ما استطعتم، اعرف الضوابط الشرعية لتصرفك وابذل فإنك ستنتج شيئا، وإنما جاء البلاء من أن تعلَّق الواجبات الشرعية بعدد قليل من الناس، فهؤلاء لهم طاقة ومهما بذلوا فإن لهم طاقة محدودة وبذلوا الكثير الكثير جزاهم الله جل وعلا عن المسلمين خير الجزاء ولكن علىٰ كلٍّ واجب.

فإذن يا طلاب العلم عليكم دور، ومن العيب؛ بل ومن غير الجائز شرعا أن نلقي باللائمة دائما علىٰ غيرنا، أولئك ما فعلوا، وهٰذا ما فعل، وأولئك ما فعلوا، وكأننا محللين للناس فإذا رأيت الرجل بصيرا بنقد الآخرين وهو غير عامل في نفسه للإسلام فإنه قد أوتي من جهة الشيطان ومن جهة نفسه، فلينظر في نفسه، فإن المرء كلما كان أكثر بذلا وأقل نقدا لإخوانه فإنه علىٰ صواب إلا فيما فيه مجال للنصيحة؛ لأن الشيطان يغريه بأن اللائمة علىٰ غيرك وأنت قد أديت أو أنت لست مخاطبا بالواجب.

الموضوع يطول وشرائح المجتمع كثيرة وتفريعها وتصنيفها كثير، والوقت قصر بقي آخر المطاف في فئات الناس ولاة الأمر في كل مجال بحسبه، ولي الأمر بخصوصه في مقام إما في دائرة أو في وزارة أو ولي

الأمر الأعظم رئيس أو ملك أو من يكون بالتسميات المختلفة أو أمير، كل مخاطب بأنه يجب بحسب مسؤوليته أن ينهض بهٰذه الأمة، وأن يكون ممتثلا بقول الله جل وعلا: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، وأنه كلما عظمت المسؤولية كان الواجب أعظم وكان الحساب أعظم؛ لذلك من كان وليا لأمر صغر هٰذا أو كبر فإن عليه أن يستحضر لقاءه بين يدي الله جل وعلا، وأن عليه واجبا وأن هٰذه الأمة منوطة بهؤلاء الذين ولاهم الله جل وعلا الأمر، فعليهم أن يحققوا أولا الشهادتين وانتماءهم العام لكلمة التوحيد لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله بتحقيق التوحيد في بلادهم وفي تصرفاتهم وأن يكونوا علىٰ منهج السلف الصالح وعلىٰ العقيدة الصحيحة التي رضيها الله جل وعلا لنا عقيدة، وهٰذا هو الذي يجب أن يقوم عليه كل من ولي أمرا صغر أم كبر في إدارة صغيرة أم في ولاية الأمر العظمىٰ، وهٰذا لاشك أنه من الواجب العظيم لأن عندهم من القدرات ما ليس عندهم.

أسأل الله أن يلهمنا وولاة أمور المسلمين جميعا الرشد والسداد، وأن يباعد بينهم وبين سبيل أهل البغي والفساد، وأن يريهم الحق حقا وأن يرزقهم اتباعه، وأن يريهم الباطل باطلا وأن يمن عليهم اجتنابه، وأن يجعلهم مؤيدين للحق ولأهله.

# اللقاء المفتوح

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

المقدم: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

أيها الإخوة في الله نحن وإياكم في هٰذا **اللقاء المفتوح** مع معالي نائب وزير الشؤون الإسلامية الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله ورعاه، فحيّىٰ الله شيخنا الكريم.

وحياكم الله أنتم أيها الإخوة في هٰذا المكان المبارك، ما جمعكم إلا ذكر الله جل وعلا.

فنسأل الله جل وعلا أن يجزينا وأن يثيبنا علىٰ حضورنا هٰذا، وأن يجعل مجلسنا من المجالس التي يباهي اللهُ بها ملائكته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ثم إنه ليسعني في هٰذا المقام إلا أن أشكر معالي الشيخ علىٰ تشريفه هٰذا اللقاء وإجابته الدعوة، فجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، فقد بذل وقته في الدعوة إلىٰ الله وتعليم العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنسأل الله جل وعلا أن يجعل ذلك في ميزان أعماله الصالحة، وأن يجزيه خير الجزاء مقابل تجشّمه هٰذا الحضور وموافقته جزاه الله خيرا.

فليتفضل مشكورا مأجورا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وهو المحمود بكل لسان، المثنىٰ عليه بكل جنان، لا إلٰه إلا هو له الحمد في الأولىٰ والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد.. فأشكر لأخي الفاضل أحمد الموسىٰ إمام هٰذا الجامع علىٰ هٰذه الكلمات الترحيبية بالجميع، وأسأل الله جل وعلا أن يجعلنا خيرا مما يظنون وأن يغفر لنا ما لا يعلمون.

كما أسأل المولىٰ جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر.

كما أسأل المولىٰ جل جلاله أن يستعملنا في مراضيه، وأن يجعلنا من المتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، إنه جواد كريم.

**ثم إن هٰذا اللقاء الذي يسمىٰ مفتوحا أو يوصف بأنه مفتوح يعنىٰ به أنه ليس له موضوعا خاصا** يتناول فيه قضية من القضايا أو موضوع من الموضوعات العلمية أو التربوية؛ لأنه صلة للقاء سابق كان في هٰذا المسجد المبارك حيث أَلقيتُ فيه محاضرة فيما مضىٰ بعنوان «واقع المسلمين المعاصر وسبيل النهوض بهم» ولما لم نتمكن في حينه لطول ذلك اللقاء من الإجابة علىٰ الأسئلة أرجأناه إلىٰ هٰذا اللقاء.

**وبين يدي الإجابة علىٰ الأسئلة** أوصي الجميع بوصية عظيمة أوصىٰ بها رب العالمين عباده الأولين والآخرين ألا وهي الوصية بتقوىٰ الله ﷻ.

فإن التقوىٰ هي المخرج من الفتنة.

فقد سئل طلق بن حبيب رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ فقيل له: جاءت الفتن فما المخرج منها؟

قال: تقوىٰ الله.

قيل له: وما تقوىٰ الله؟

قال: أن تعمل بطاعة الله علىٰ نور من الله ترجو ثواب الله، وتترك معصية الله علىٰ نور من الله تخشىٰ عقاب الله.

فحقيقة التقوىٰ العمل بالطاعات واجتناب المنهيات.

العمل بالطاعات بوصفين وشرطين:

**الأول** أن يكون العمل بالطاعة علىٰ علم؛ لأن العبد إذا عمل بما يظنه طاعة دون علم فإنه قد لا يوافق السنة «ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» كما قال نبينا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

**والشرط الثاني**: الإخلاص، وهو أن ترجو ثواب الله؛ يعني أن يكون القصد وجه الله جل وعلا بالعمل الصالح؛ لأن من الناس من يعمل علىٰ وجه المباحات، أو علىٰ وجه الرياء، أو علىٰ وجه التسميع والسمعة.

وكذلك ترك المعاصي، فإن ترك المعاصي نصف التقوىٰ؛ لأن حقيقة التقوىٰ أن تجعل بينك وبين ما تخاف -وهو الله جل وعلا أو عذاب الله أو عقاب المولىٰ تبارك وتعالىٰ- أن تجعل بينك وبينه وقاية تقيك عذابه باجتناب المحرمات وفعل الطاعات.

فاجتناب المحرمات التي أعظمها الشرك بالله جل وعلا ثم السحر ثم سائر الموبقات وسائر المحرمات هٰذه قد يتركها المرء من قبل الطبيعة والجبلة أو العادة، وقد يتركها تديُّنا، وقد يتركها لأجل عدم القدرة علىٰ المعصية، ولهٰذا صار الصالح صار المتقي من عباد الله من ترك معصية الله علىٰ نور من الله -يعني علىٰ علم- ترك المعصية قصدا لا لأجل أنها لم توافقه، لا لأجل أنه لا يقدر عليها، لا لأجل أنه لم يألفها؛ بل ترك المعصية علىٰ علم وعن علم وهو مخلص في هٰذا الترك يخشىٰ عقاب الله جل جلاله.

ولهٰذا في الحقيقة فإن الإنسان المسلم في هٰذا الزمن يرىٰ الفتن بأنواعها تتابع ليلا ونهارا، والفتن جاءت مَنْ قبلنا والمخرج منها كتاب الله جل وعلا الذي فيه الوصية بتقوىٰ الرب ﷻ.

الفتن أنواع ذكرها الله جل وعلا في سورة العنكبوت، قال سبحانه في صدر السورة: بسم الله الرَّحمٰن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ الفتن أعظمها أن يسلط الشيطان علىٰ الإنسان بإغوائه في حق الله جل جلاله وهو توحيده واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام.

ولهٰذا جاءك في سورة العنكبوت قصص للأنبياء وما حصل لهم مع أقوامهم لأن هٰذا نوع افتتان حصل في الناس وبالناس، والابتلاء الأعظم وبتوحيد الله جل وعلا، والفتنة العظمىٰ هي بتسليط الشيطان أولياءه بالدعوة إلىٰ الشرك ومضادة الرسل، لهٰذا قص الله في السوءرة قصة نوح عليه السلام، ثم قصة إبراهيم، ثم لوط.. إلىٰ آخر القصص ثم قال جل وعلا في آخرها: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾ إلىٰ آخره، وهٰذا يدلك علىٰ أن هٰذا النوع هو أعظم ما يحصل من الافتتان، وهو بالشرك وبالصد عن توحيد الله.

فكيف النجاة منه؟ بالمجاهدة، بالعلم النافع، بالمحافظة علىٰ العبادة.

كذلك من الافتتان الذي ذكر والفتنة التي ذكرت في سورة العنكبوت أن يكون الناس علىٰ بصيرة

ولكنهم يتركون الحق مع وضوحه، قال جل وعلا في السورة نفسها : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ كانوا علىٰ علم فصُدوا عن السبيل، وهٰذا نوع فتنة أن يكون الإنسان العلم قريب منه والحق قريب منه ثم هو لا يأبه له ولا ينظر إليه ولا يسعىٰ إليه، لاشك أن هٰذا ابتلاء عظيم وفتنة يفتن الله جل وعلا بها الناس لينظر الصادق من الكاذب ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾.

يحصل الافتتان بأنواع الشهوات وأنواع الملذات التي تُعرض علىٰ الناس وتسهّل الناس من المال ومن النساء ومن الولد ومن أنواع الفتن، فينظر الله جل وعلا ما فعل العبد؛ بل ذكر الله جل وعلا في السورة ما حصل من فتنة الوالدين لولدهما عن الدين وعن الحق، فقال جل وعلا: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ قد تحصل الفتنة من أقرب القربين؛ لٰكِن إذا كنت الفتنة من الوالدين فوجب الصبر وعدم الطاعة، وأن يصاحبهما المرء معروفا في هٰذه الدنيا.

ما المخرج من هٰذا جميعا، وتأملوا السورة فالحديث عنها وما اشتملت عليه يحتاج إلىٰ مزيد وقت وبيان، بين الله جل وعلا أن المخرج بالطاعة فقال في السورة نفسها ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ هٰذا مخرج ، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴾ مخرج ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ فذكر في هٰذه الآية ثلاثة مخارج.

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ فالغفلة عن القرآن وبيان القرآن وهو السنة يجعل المرء تدركه الفتنة، من كان يتلو كتاب الله جل وعلا ثم ترك يخشىٰ أن تدركه الفتنة؛ لأن الإنسان إما أن يكون مع الله جل جلاله، وإما أن يكون مع غيره، وقد يكون يتنازعه هٰذا وهٰذا فهٰذا هو المخرج الأول ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.

والثاني: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الصلاة علل الله جل وعلا الأمر بإقامتها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴾ وكل فتنة تدخل تحت الفحشاء والمنكر.

ثم بين جل وعلا أعظم ما تكون به النجاة فقال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ لهٰذا الخطباء من جاء من سنة العلماء وهدي العلماء من وقت عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ يومنا هٰذا أنه تتلىٰ هٰذه الآية في آخر الخطبة يوم الجمعة لأن الله جل وعلا جمع فيها وفي آية سورة النحل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ جمل فيها الدين والمخرج من الفتنة فهي آيات عظيمة للغاية ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من كان لسانه ذاكرا وكان قلبه ذاكرا ثم كان لسانه شاكرا وقلبه شاكرا فقد نجا بإنجاء الله جل وعلا له.

في آخر السورة بين لك رب العالمين من هم الذين ينجون فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ فتأمل هٰذا التعانق ما بين آخر السورة وما بين أول السورة وكأن السؤال الذي جاء في أول السورة جاء جوابه في أثناء السورة وفي آخرها، قال سبحانه: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ فقال في آخرها ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ الله جل وعلا يريد من العبد المجاهدة يريد من العبد المصابرة، يريد من العبد الصبر علىٰ الطاعة والصبر علىٰ المعصية وهو ينجيه.

أما أن يكون الإنسان واقعا في الفتن راضيا بها بهذا المفهوم العام للفتنة فإن الأمر لا شك أنه يؤاخذ به العبد؛ لأن الله أقام الحجة وأوضح المحجة والسبيل.

إذن فالوصية بتقوىٰ الله جل وعلا هي أعظم وصية وبها النجاة من الفتن كما قال طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

فعلي وعليكم جميعا التقوىٰ وأن نوصي بعضنا بتقوىٰ الله جل وعلا، وأن نتلمّس أسبابها لأن الحياة ولا شك منقضية، والآخرة دائمة وليست بمنتهية؛ بل باقية ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾[الأعلىٰ].

أسأل الله جل وعلا أن يجنبني وإياكم ما يسخط ويأبىٰ، وأن يوفقني وإياكم إلىٰ ما يحب ويرضىٰ، وأن يجعل في قلبنا نورا، وفي سمعنا نورا، وفي أبصارنا نورا، وأن يجعل لنا نورا، وأن يمن علينا بحسن الختام، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولأحبابنا، وصلىٰ الله وسلام علىٰ نبينا محمد. تفضل

المقدم: شكر الله لمعالي الشيخ ونفعنا بما معنا إنه ولي ذلك

**سؤال (١)**: معالي الشيخ حفظكم الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لقد ذكرتم الشرائح في النهوض بالأمة ولٰكِن حبذا لو توسعتم في شريحة الآباء وركزتم علىٰ دورهم في تربية أولادهم وغير ذلك فمسؤولية الآباء عند ربي عظيمة، ثم ما هي الوسائل التي تشغل بها أوقات الفراغ في البيوت؟

**الجواب**: الحمد لله وبعد، لا شك أن من ولي أمرا من أمر المسلمين صغيرا كان أم كبيرا فإن متعين ومتأكد ومن ذلك الوالدان الأب والأم فإن مسؤوليتهم الشرعية تجاه أبنائهما عظيمة، قال نبينا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وصح عنه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أنه أمر بإحسان تربية الأولاد في قوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- : «من عال ولدين فأحسن تربيتهما فماتا فاحتسبهما كان له حجابا من النار»، وجاء في لفظ آخر «من مات له ولدان» و«من عال جاريتين» بألفاظ مختلفة .

فإذن واجب الوالدين واجب عظيم، فالولد أمانة في عنق الوالدين، فيجب علىٰ الأب وعلىٰ الأم أن يسعيا في أحسن ما يجدان من صالح التربية؛ لأن الولد أمانة، وأؤتمن عليها الأب وأؤتمنت عليها الأم، فتنشئة الولدين علىٰ طاعة الله جل وعلا هٰذا مطلوب شرعا، ومأمور به الوالدان.

ولهٰذا جاء في خصوص الصلاة قوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر»، وذلك لأن الصلاة عمود الدين وهي التي تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر.

إذا كان كذلك فمسألة التربية مسألة عظيمة، وصعب أن يقال: إن الوالدين إذا عملا شيئا فإنهما سيريا مجهودهما ولابد؛ بل قد يوفق الله جل وعلا الولد للطاعة وقد لا يوفقه للطاعة؛ بل يخذله إلىٰ العصيان، وقد يوفَّق الوالدان لنوع التربية وقد لا يوفقان.

ولهٰذا واجب أن ينظر الوالد والوالدة إلىٰ نفسية هٰذا الولد، وخاصة إذا ناهز الاحتلام وقارب البلوغ، فإنه ينبغي أن يراعىٰ فيما يُصلحه وهٰذه تحتاج إلىٰ مزيد بيان وإيضاح، لٰكِن مختصر القول أنَّ أمر التربية عظيم.

وأن أعظم الوسائل التي تكون بها الهداية التوكل علىٰ الله جل وعلا، ثم فعل الأسباب، بعض الناس قد يفعل الأسباب العظيمة؛ لٰكِن يترك الأسباب الشرعية القلبية وهي حسن التوكل علىٰ الله جل جلاله؛ يعني أن يبذل ما يستطيع في التربية الصالحة، ويفوض أمر صلاح الأولاد إلىٰ رب العالمين الذي بيده

صلاح القلوب.

كذلك أن يؤدّي ما عليه ويفعل الأسباب ثم يدعو الله جل وعلا أن ينفع بهذه الأسباب.

فالتوكل وهو صدق اللّجأ إلىٰ الله جل وعلا وتفويض الأمر إليه هٰذا من أعظم الأسباب النافعة، وقد رأينا أن ثم بيوتًا ليست ببيوت خير في الجملة، وظهر أولاد صالحون، وبالعكس فهناك بيوت صلاح وعبادة وقيام وصيام وطاعة وليس فيها شيء من الفتن في الغالب ومع ذلك خرج بعض الأولاد ليسوا علىٰ نهج آبائهم وأمهاتهم.

فالمسألة بيد الله جل وعلا.

فالمقصود أن العبد الوالدين عليهم من في هٰذا الأمر ما ليس علىٰ غيرهم في إصلاح أولادهم.

وهٰذا بفعل السبب الظاهر؛ التربية الظاهرة من أمرهم بالطاعة، وصدهم عن أسباب الفساد، واختيار الصحبة الصالحة ونحو ذلك من الأسباب، ثم أن يتوكلوا علىٰ الله جل وعلا حق التوكل، وأن يفوضوا أمر الصلاح إليه سبحانه، وأن يكثروا من الدعاء، فإن القلوب بين اصبعين من أصابع الرَّحمٰن.

مما يسبّب الفتن في الأولاد أن يتساهل الآباء في أمر الصحبة، في أمر المنكرات، خاصة في الصغير من تسع سنوات إلىٰ العشرين، هٰذه تتكون فيها ملكاته، يتكون فيها عاطفته، ورغباته، وقت الغرس هو هٰذا، لذلك أمر بالصلاة في سن السبع والضرب عليها لعشر لأن هٰذا وقت غرس الإيمان وكذلك وقت غرس ضده. فهٰذه الفترة من العمر ينبغي الاهتمام بها.

أسأل الله جل وعلا أن يصلح ذرارينا جميعا وإخواننا وأحبابنا، وأن لا يكلنا في هٰذا الأمر إلىٰ أنفسنا طرفة عين.

**سؤال (٢)**: معالي الشيخ كثرت في هٰذه الأزمنة كثرة الاتجاهات والمناهج الإسلامية، فهل يقال: لكل علىٰ ثغر أم لهٰذا ضابط، وهل تعدد المناهج والاتجاهات من صالح الدعوة أم لا؟

**الجواب**: الله جل وعلا بين لنا في كتابه -الذي هو المخرج من الفتنة- أن المرحومين لا يتفرقون فقال جل وعلا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود]، وبين جل وعلا أن سبب ضلال اليهود والنصارىٰ أنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا، فقال جل وعلا: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[الشورىٰ:١٣]

وقال جل وعلا في سورة الجاثية: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ وصح عنه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أنه قال: «وستفترق هٰذه المة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «هي الجماعة»، وفي رواية قال: «هي من كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

وصح عنه أيضا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أنه قال: «فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعظوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور».

والله جل وعلا بعث رسوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بالهدىٰ ودين الحق، والهدىٰ ودين الحق ليس ملتبسا؛ بل واضحا بما جاء في كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ وهدي الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم، ولهٰذا كانت الجماعة في مفهوم أهل العلم أهل السنة كانت الجامعة معناها ما كان عليه الأمر قبل الافتراق، وما كان عليه الأمر قبل الافتراق -يعني قبل الافتراق في عهد عثمان رضي الله عنه وما حصل في مقتله ثم بعد ذلك ما حصل في خلافة علي رضي الله عنه من ظهور الفتن والاختلاف في الدين والاختلاف في الأبدان- صار معنىٰ الجامعة التي جاءت في الأحاديث الصحيحة وما أمر به في القرآن من النهي عن التفرق صار معناه الأمر بالاجتماع، والاجتماع في الكتاب والسنة نوعان:

اجتماع في الدين ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾[الشورىٰ:١٣].

واجتماع في الأبدان علىٰ الإمام بعدم التفرق كما كان عليه أهل الجاهلية، قال جل وعلا: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾ يشمل النوعين ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾[آل عمران].

إذن قبل أن يحصل الاختلاف تلك الجماعة، وذاك الأمر هو الذي يجب السلوك عليه وهو النجاة، ولهٰذا لما ظهرت الفرق المختلفة سُميت فرقا؛ لأجل الحديث، ولأنها أحدثت تفرقا في الأمة سواء منها الفرق...

خلاصة ما دلت عليه هٰذه الآيات والأحاديث كلام أهل العلم أن الواجب علىٰ أهل الإيمان الاجتماع، والفرقة عذاب فقد صح عنه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كما جاء في «المسند» وغيره أنه قال: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب» الاجتماع رحمة الاجتماع في الدين رحمة، والاجتماع في الأبدان رحمة الفرقة في الدين والفرقة في الأبدان عذاب.

فهٰذا مطلوب وهو الاجتماع، وهٰذا منهي عنه وهو الافتراق.

الاتجاهات المعاصرة التي جاء السؤال عنها هٰذه الاتجاهات:

منها ما هو اتجاه عقدي فيُدرج تحت فرقة من الفرق الماضية.

ومنها ما هو اتجاه سياسي فيكون إذن مما صار فيه إحداث التفرق من جهة الاجتماع اجتماع الأبدان.

ومنها ما هو اتجاه دعوي، وهٰذه الاتجاهات الدعوية التي ليست باتجاهات سياسية يطلب بها الوصول إلىٰ الحكم أو الخروج أو نحو ذلك، الاتجاهات الدعوية البحتة يعتريها الصواب والخطأ، يعتريها الحق والباطل بحسب ما تمسكوا به من السنة.

فإذن الواجب علىٰ الجميع أن يسعوا إلىٰ الاجتماع وإلىٰ عدم الافتراق، وأن يسعوا في جمع الكلمة؛ لأن الله جل وعلا أمر عباده بالاجتماع ونهاهم عن الافتراق، فمن أعظم ما أمر الله جل وعلا وأمر به رسوله ﷺ الائتلاف والاجتماع وعدم الافتراق لأن الفرقة فيها شرور كثيرة في الدين والدنيا، إذا تقرر ذلك فإذا نظرنا إلىٰ بلادنا هٰذه فهٰذه البلاد، ولله الحمد علىٰ ميراث دعوة دعا إليها وجاهد فيها الإمام المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وناصره عليها الإمام محمد بن سعود بن مقرن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك ابنه عبد العزيز من بعده وأبناؤه نصروا هٰذه الدعوة التي تتفيؤون ظلالها وننعم باجتماع في الدين وعدم ظهور للبدع ولا ظهور للشركيات ولا ظهور لأكثر المنكر ولله الحمد مما قد ابتلي به الناس في أقطار كثيرة.

فالواجب المحافظة علىٰ هٰذه الدعوة والمحافظة علىٰ أصولها؛ لأن بها صلاح هٰذه البلاد فهي أصلحت وستصلح بإذن الله تعالىٰ.

وإنشاء أو ابتداء دعوات أخر واتجاهات أخر لا تمثل هٰذه الدعوة هٰذا في الواقع تغيير لوجهة الدين

ووجهة أهل العلم ووجهة الناس في دينهم، وكذلك فيما يؤول إليه في دنياهم.

لهٰذا الواجب علىٰ العباد في كل مكان في العالم أن يأتلفوا ولا يتفرقوا، وأن يلزموا الجماعة، وأن يلزموا طريقة أهل السنة وطريقة السلف الصالح وأن يبتعدوا عن التفرق بأنواعه، وإذا حصل تفرق واختلاف واتجاهات فيعالجونه بالعلم لا يعالجونه بالهوىٰ والابتداع وبالمضادة والنفرة وبعضهم يقاتل بعضا، أو بعضهم يدعو علىٰ بعض أو بعضهم ينكر علىٰ بعض كأنهم يتجاهدون أو يجاهد بعضهم بعضا، الواجب علاج الفرقة بالعلم؛ لأن الله جل وعلا أمر بالاجتماع، وأمر بأن نأتي بالمصالح وندرأ المفاسد فاجتماع المسلمين مطلوب وتفرق المسلمين مذموم ولهٰذا وجب علىٰ جميع أن يأخذوا بهذا الأصل العظيم والذي ترون عليه هدي علماء هٰذه البلاد وعلماء السنة أنهم يسعون في الاجتماع اجتماع الملمين وينبذون الاختلاف فقد لا يقرون بل لا يقرون هٰذه الاتجاهات الدعوية السياسية وأشباهها لٰكن يعالجونها بالعلم ولا يعالجونها بالظلم والطغيان.

بالعلم تصلح المور وبالدعوة يحقق ما يكون خيرا إن شاء الله تعالىٰ.

**سؤال (٣)**: معالي الشيخ لو بينتهم ضابط التشبه بالكفار حيث أن أمورا كثيرة اضطربت علينا في هٰذا الزمن، وجزاكم الله خيرا.

**الجواب**: التشبه بالكفار جاء النهي عنه في كتاب الله جل وعلا وفي سنة المصطفىٰ ﷺ أما في القرآن ففي قول الله جل وعلا في سورة الحديد: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ فنهىٰ أن يكون أهل الإيمان كالذين أوتوا الإيمان من قبل، فجعل المفسرون هٰذه الآية دليلا علىٰ النهي عن التشبه بأهل الكتاب.

وصح في السنة في «سنن أبي داود» وفي «المسند» وفي غيرهما بإسناد صحح أن النبي ﷺ قال: «بُعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتىٰ يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار علىٰ من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»، وروي مختصرا بقوله: «من تشبه بقوم فهو منهم»، دل الحديث والآية علىٰ أن التشبه بالكفار محرم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم»: هٰذا الحديث يدل علىٰ أن أدنىٰ أحكام التشبه التحريم.

يعني أن التشبه قد يصل إلىٰ الكفر إذا تشبه بهم فيما هو في عبادتهم وفي إشراكهم ونحو ذلك.

**إذا تبين ذلك** فإن التشبه كما ذكر محرم وكما دلت عليه الأدلة؛ لٰكِن التشبه تفعُّل يعني من حيث اللغة بقصد الفاعل؛ يعني هو فعل الشيء ليتشبه بأولئك، ففرق أهل العلم في هٰذا الباب بين شيئين:

الأول: التشبه.

والثاني: المشابهة

فقد تحصل المشابهة دون تشبه، وقد يكون التشبه محرما وقد يكون التشبه كفرا.

الفرق بينهما أن التشبه يفعل ما فعل الكفار رغبة في أن يكون مثلهم، مثلا يلبس ثوبًا، ليش لبسه؟ لبسه ثوب مختص من ثياب الكفار مما يختص به فئة من فئات الكفار، لماذا؟ ليكون مثلهم، يريد يصير مثلهم.

لهٰذا النبي ﷺ لما رأىٰ علىٰ عبد الله بن عمرو ثوبين معصفرين قال: «إن هٰذه من ثياب الكفار فلا تلبسها» يفعل فعلا يريد أن يكون مثلهم، مثلا يقص الشعر ليش؟ قال: لأنها قصة فلان. قاصد أن يتشبه فهٰذا من تشبه بقوم فهو منهم، وفعله محرم، وإذا كان في أصل الدين فهو كفر بالله جل وعلا.

النوع الثاني المشابهة، ومشابهة الكفار قد تكون محرمة، وقد تكون جائزة، فمشابهتهم فيما هو من خصائصهم التي يتميَّزون بها نقول: المشابهة هنا مشابهة الكفار ينكر علىٰ من شابههم؛ لٰكِن هل يأثم هو هنا قد يكون شابه دون علم، وإنما دون تشبه؛ يعني شابههم من دون أن يدري أن هٰذا من خصال الكفار المختص بهم، فتكون مسألة مشابهة لا مسألة تشبه.

مثلا يأتي أحدهم يفعل فعلا ويأتيه يقول: هٰذا من فعل الكفار هٰذا لا يفعله مسلم، يقول: ما أدري هٰذا يسمىٰ مشابهة لا تشبه.

فالتشبه مذموم ويأثم عليه؛ لأن فيه قصد الفاعل، وأما المشابهة فإذا شابههم في أمر يختص به الكفار، يختصون به، فهٰذا ينكر عليه ولا يأثم إلا إذا قصد المشابهة، وهٰذا يدل عليه حديث عبد الله بن عمرو الذي ذكرت لك قال: «إن هٰذه من ثياب الكفار فلا تلبسها» رواه مسلم في الصحيح.

النوع الثاني مشابهة في ما لا يختصون به، شابههم فيما لا يختصون به، وإنما من قبيل ما جعله الله لعباده، مثل مشابهة الكفار في حيل الحرب، النبي ﷺ حفر خندقا، هٰذا من صنع فارس، حفر خندقا حول المدينة أشار به سلمان الفارسي؛ لأنه رآه في قومه، وهٰذا مطلوب لأنه ليس مما يختصون به والحرب

خدعة.

كذلك مما يحصل في البيوت أو يحصل في من قبيل الفُرش، من قبيل البناء؛ بناء البيت ونحو ذلك، من قبيل السيارات أو وسائل النقل أو وسائل الكتابة أو الصناعيات.. هٰذه كلها مما لا يختص به الكافر.

فإذن هنا ولو حصلت مشابهة فإن هٰذه المشابهة غير مذمومة شرعا؛ بل قد تكون مطلوبة إذا كان فيها نصر دين الله جل وعلا ولو أو كان فيها متعة للإنسان فيما ليس فيه محرم، ولو كان أصلها من عند الكفار.

المقصود من هٰذا التفريق ما بين المشابهة والتشبه، كثير ما يأتي سؤال في هٰذا الموضوع قال مثلا: امرأة رئي عليها قصة شعر علىٰ نحو ما، هٰذا تشبه محرم يقال: هنا نظر، إذا كانت هٰذه المرأة قصتها علىٰ نحو قصة ما لقصد التشبه، لقصد أن تأخذ القصة المحرمة الموجودة عندهم، فهٰذا تشبه، لكن إذا كانت فعلتها استحسانا لها لظنها أنها حسنة، ولم تدخل في التشبه بالرجال أو نحو ذلك مما يحرم في الشعور، فإنه هنا نقول: ولو كان تشبها فإنه ليس به بأس.

مثل لبس البدلة، البنطلون والقميص، أصل البنطلون سراويل، والسراويل كانت موجودة في زمن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، والقميص هٰذا أيضا موجود في عهد النبي ﷺ، وأقرب ما يشبه لذاك اللباس لباس الباكستانيين والهنود الموجودة الآن، فيلبسون السراويل ويلبسون القميص.

جاء الآن تطورت القصة الطريقة مع الزمن صار السروال علىٰ نحو ما والقميص علىٰ نحو ما، وبقي شيء من التفصيل للقميص وللسروال مما يختص به الكفار فإذن ما كان مختصا فيحرم لأجل التشبه أو المشابهة المحرمة، وما ليس بمختص بهم فإنه لا ينهىٰ عنه لأن أصله موجود في زمن النبوة.

هٰذه المسألة مهمة وضابطها أن تفرق ما بين التشبه والمشابهة، والله أعلم.

**سؤال (٤)**: معالي الشيخ ما رأيكم حفظكم الله فيمن إذا قيل له: إنما أصاب الأمة بسبب اليهود والنصارىٰ وأعداء الإسلام. قال: هٰذا غير صحيح إنما هو من عند أنفسنا.

أرجو التوضيح في ذلك.

ثم ما الرد علىٰ من يقول: العِداء بيننا وبين اليهود من أجل الأرض لا من أجل العقيدة؟ وجزاكم الله خيرا.

**الجواب**: هٰذه مسألة طويلة لٰكِن ملخصها: أن ما أصاب المسلمين لاشك أنه نتيجة أمرين:

**الأول**: تسلط الأعداء علىٰ المسلمين في السياسة وفي الاقتصاد والمال وفي الإعلام.

والأعداء بيننا وبينهم حرب، وإن كانت حرب السلاح مع النصارىٰ ليست قائمة بالجملة؛ لٰكِن حرب العقيدة، حرب الدين قائمة، حرب الأخلاق، حرب التسلط، حرب التبعية لازالت قائمة، والله جل وعلا يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[البقرة:١٢٠].

هٰذا نوع موجود، لٰكِن لماذا لم يرده المسلمون، لماذا ما وقفوا في وجوه أولئك ولم يقبلوا بهذا؛ لأنهم في أنفسهم مصابون.

قال جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورىٰ] ومن جملتها المصائب الدينية، ومن أعظم ما يعاقب به المرء علىٰ ذله أو علىٰ عدم قيامه بواجبه الشرعي أن يصاب في دينه.

ولهٰذا من خصه بهجوم اليهود والنصارىٰ هٰذا ليس بصحيح، الآن هم يريدوننا في أشاء كثيرة ما نوافقهم.

فالناس الآن يضادون اليهود والنصارىٰ في أشياء كثيرة وما استسلموا لهم، قبل عشرين سنة كانوا يضادونهم في أشياء أكثر من الآن ولم يستجيبوا لهم.

فإذن العباد مصابون، فإذا هم قبلوا ذلك بذنوبهم فإنه تكون المصيبة ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥] فكل ما يصاب به العبد فبسبب ذنوبه، قال جل وعلا في آية الشورىٰ ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾.

أما مسألة العِداء مع اليهود، فحقيقة العداء معهم عداء دين؛ عداء عقيدة، عداء شريعة، جهاد منذ أخرجهم النبي ﷺ من المدينة ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾[الحشر:٢].

اليهود في هٰذا الزمن من واجههم علىٰ نوعين:

- واجههم القوميون.

- وواجههم المستمسكون بالإسلام، علىٰ درجات في ذلك.

**أما القوميون والعرب فهؤلاء** -والعياذ بالله- يضادون اليهود حتىٰ إنهم يضادون موسىٰ عليه السلام، ويضادون هارون، ويضادون داوود عليه السلام، وإذا أتوا يبحثون في عروبة فلسطين وأن العرب سكنوها قبل اليهود؛ لأن أصلها عربية ولأن اليهود جاؤوها وأخذوها من العرب أصلا فيصفون الأنبياء بأوصاف ليست حسنة، فجاء داوود ومن معه وأخرج العرب من القدس ونحو ذلك فهم المعتدون، فهٰذه والعياذ بالله نظرة قومية تضاد الشريعة وتضاد القرآن.

**وأما نظرة أهل الإسلام وأهل العلم في ذلك**، هي أن بيت المقدس وفلسطين هٰذه أرض الأنبياء جعلها الله جل وعلا مباركة، فبنىٰ الله جل وعلا أول بيت وضع في الأرض الكعبة، ثم بنىٰ بعده بيت المقدس، كما ثبت في «الصحيحين» أن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قال: يا رسول الله أي بيت وضع في الأرض أولا؟ قال: «الكعبة»، قال : ثم أي؟ قال: «بيت المقدس» ، قال: قلت: يا رسول الله كم كان بينهما؟ قال: «أربعون عاما».

فبيت المقدس قبلة الأنبياء يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: بيت المقدس يعني المسجد بنته الأنبياء وتوجهوا إليه في الصلاة؛ يعني في القبلة بنته الأنبياء وقبلة الأنبياء.

إذا كان كذلك فدين أهل الإسلام أنهم يتولون كل نبي وكل رسول ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥] لماذا؟ لأن كل الرسل علىٰ دين الإسلام نوح عليه السلام مسلم ، إبراهيم عليه السلام مسلم، ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾[آل عمران].

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[البقرة].

إبراهيم الخليل علىٰ الإسلام، يعقوب علىٰ الإسلام، إسحاق علىٰ الإسلام، موسىٰ علىٰ الإسلام، هارون علىٰ الإسلام، داود علىٰ الإسلام، عيسىٰ علىٰ الإسلام، علىٰ الجميع صلوات الله وسلامه.

كل هؤلاء دينهم الإسلام؛ لٰكِن الشرائع تختلف، قال جل وعلا في سورة المائدة : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾[المائدة:٤٨].

الشرائع تختلف، التعبدات الأمر والنهي، لٰكِن الدين العقيدة الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله هٰذا دين عام للجميع دين الإسلام، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران].

المسلمون يدينون بهذا الدين، فالجميع أرض الرسالات من الأولىٰ بها؟ الأولىٰ بها أصحاب الدين الحق؛ لأن اليهود حرفوا دينهم، وتركوا شريعة موسىٰ وتركوا دين موسىٰ عليه السلام.

بالمناسبة من الغلط أن يقال الأديان السماوية الثلاثة، يعنون اليهودية والنصرانية والإسلام لأن الدين السماوي واحد هو الإسلام، اليهودية ملة، شريعة، النصرانية ملة أمة شريعة لا بأس.

أما دين، ليس ثم أديان سماوية-ليس إلا دين سماوي واحد هو الإسلام، قد تقول: الأديان المختلفة نعم، لٰكِن لا تنسب ذلك إلىٰ السماء؛ لأن الذي جاء من الله جل وعلا دين واحد.

المقصود أن القدس هٰذه اجتمعت عليها الأنبياء وعمرتها الأنبياء وتوجهت إليها قبلة الأنبياء.

إذا كان كذلك فتأمل قول النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لما جاء المدينة ورآهم يصومون يوم عاشوراء فقال لهم: «ماهذا اليوم؟» قالوا: هٰذا يوم نجىٰ الله فيه موسىٰ وقومه فصامه موسىٰ شكرا لله فنحن نصومه كما صام موسىٰ، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «نحن أحق بموسىٰ منكم» وفي رواية «نحن أولىٰ بموسىٰ منكم» فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه كما في الصحيح.

إذن دين الأنبياء واحد، «الأنبياء إخوة لعلات دينهم واحد والشرائع شتىٰ».

إذن النظرة الإسلامية للقدس وللبلاد أن هؤلاء اليهود قتلة الأنبياء، هم مضادون لدين الإسلام الذي جاء به كل رسول ومن كفر برسول فكأنما كفر بالرسل بل قد كذب بالرسل جميعا ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[الشعراء].

إذا كان كذلك المسألة في مسألة القدس وفلسطين مسألة عقيدة، ومسألة شريعة من جهة أخرىٰ؛ لأن بيت المقدس جعل الله جل وعلا فيه الصلاة فيه مفضلة؛ الصلاة فيه بخمسمائة صلاة، وجعل الرحال لا تشد إلا لثلاثة مساجد ومنها المسجد الأقصىٰ.

فإذا كان الأمر كذلك فإذن بطلت دعاوىٰ القوميين والذي يجب التمسك به أن القضية شرعية دينية

شرعية إسلامية، أما مسالة القوميات فهي تبع، ما كان من القوميات حق ومن العروبة حق فيكون تبعا للإسلام، وليس الإسلام تبعا لقومية من القوميات.

القوميات تبع للإسلام، نعم العرب، هم الذين نصروا الإسلام، وهم الذين اصطفاهم الله جل وعلا لنصرة محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وشرفهم بذلك، وهم أنصار الدين، وهم الذين نشروا الإسلام في الأمم، فلهم من الفضل أجزله، هم أفضل الأمم والقبائل، وأفضل فئات الناس لٰكِن المسألة ليست قومية، المسألة شرعية عقدية دينية، ومن حرفها عن ذلك فإنه يخسر دينا ودنيا.

**سؤال (٥)**: معالي الشيخ نسمع كثيرا من المشايخ لا يعذرون الرافضة في جهلهم بالتوحيد، مع توفر وسائل نقله إليهم، فهل يصح إطلاق الكفر عليهم؟ آمل التوضيح.

**الجواب**: هٰذه المسألة فيها تفصيل.

الرافضة فرق قد ألف النوبختي كتابا سماه «فرق الشيعة» جعلهم علىٰ رأيه جعل فرق الشيعة ثلاثا وسبعين فرقة وجعل المصيب منها واحدة وجعل ثنتين وسبعين من فرق الرافضة في النار، هٰذا علىٰ حد قول أحد علمائهم وأئمتهم.

الرِّفض -بكسر الراء- كان أصله رفض زيد بن علي في الولاية، فالشيعة أرادوا أن يبايعوا زيد بن علي فرضته طائفة فسموا رافضة، وسمي فعلهم رِفضًا، وتولته طائفة سموا زيدية.

الرافضة بهذا المعنىٰ لهم فرق، ولهم آراء، ولهم مبادئ وعقيدة مختلفة، ليسوا علىٰ نهج واحد، من ادَّعىٰ منهم أن أحد أئمتهم أو أن كل أئمتهم لهم حق في أن يعبدوا أو أن يستغاث بهم أو أن يقسم بهم أو نحو ذلك مما فيه شرك في العبادة هؤلاء مشركون لأنهم صرفوا العبادة واعتقدوا أحقية العبادة في الله جل وعلا.

من كان منهم يعتقد أن القرآن ناقص الذي بين أيدينا وأنه ليس بكامل هٰذا أيضا كفر، بإجماع المسلمين علىٰ من اعتقد من المسلمين أن حرفا زائدا أو حرفا ناقصا فإنه كافرا.

من اعتقد منهم أن الأئمة أئمة أهل البيت أفضل من الأنبياء كما قال قائلهم: ومن ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وأنهم كانوا قبل خلق هٰذا العالم أنوارا، فجعلهم الله بعرشه مُحدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفىٰ ما لم يجعله لأحد من العالمين. فهٰذا كفر.